قصص من الحديث النبوى

الجزء التاسع

تأليف

الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين

رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر سابقا

الدكتور

حصة عبد العزيز السويدى

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

جامعة قطر

الدكتور

أمانى موسى شاهين

أستاذ الحديث وعلومه المساعد

بفرع جامعة الأزهر للبنات

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ {سورة يوسف ، ١١١}

قصص من الحديث النبوي

مستخرج من صحيح البخاري

الجزء التاسع

~~تابع مهام رسول الله ﷺ~~

تأليف

الأستاذ الدكتور / موسى شاهين لاشين
رئيس قسم الحديث بجامعة الأزهر سابقاً

الدكتور
حصة عبد العزيز السويدي
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
جامعة قطر

الدكتور
أماني موسى شاهين
أستاذ الحديث وعلومه المساعد
بفرع جامعة الأزهر للبنات

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [سورة يوسف، ١١١]

• عقيدة أهل الكتاب وعقيدة الإسلام

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾[١]

﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾[٢].

الأحبار علماء اليهود ، والرهبان علماء النصارى من أصحاب الصوامع ، ويطلق على متنسكى النصارى . أربابًا من دون الله يطيعونهم فى تحريم ما أحل الله تعالى وتحليل ما حرم سبحانه . واتخذوا المسيح معبودًا بأن جعلوه ابنًا لله .

والمشركون عبدة الأصنام : ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾[٣]. وقالوا : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَـٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾[٤].

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٣٠.

(٢) سورة التوبة ، اية : ٣١ .

(٣) سورة نوح ، آية : ٢٣.

(٤) سورة ص ، الآيات : ٥ -٧ .

وقال الإسلام : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (1). أى لو كان فى السموات والأرض إلهان لفسدتا لأنهما لو أراد أحدهما خلق إنسان ، وأراد الآخر عدم خلقه ، فنفذ أحدهما مراده رغم أنف الآخر كان هو الإله، ولم يصلح الآخر أن يكون إلهًا ، ويستحيل أن ينفذ كل منهما مراده ؛ لأنه يترتب عليه اجتماع النقيضين ، فإن عجزا عن تنفيذ مراديهما لم يصلح أى منهما أن يكون إلهًا ، فإن اتفقا على قسمة العالم . هذا فى الشرق وهذا فى الغرب كان كل منهما عاجزًا عن تدخل قدرته فى الجزء الذى اختص به الآخر ، فلا يصلح أن يكون إلهًا ، فإن اتفقا على أن يخلقا معًا إنسانًا كان محالا ، لاستحالة اجتماع مؤثرين على أثر واحد ، فإن اتفقا على أن يخلقاه مرتين أحدهما بعد الآخر كان عمل الثانى تحصيل حاصل وهو محال . إذن لو كان فوق العالم إلهان لفسد العالم .

وقال الإسلام : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ (2). وقال : ﴿ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ (3).

وقال : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ ﴾ واستبد به ، واستقل به تصرفًا ، واستقل ملكه عن ملك الآخر ﴿ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ ﴾ ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (4).

---

(1) سورة الأنبياء ، آية : 22.

(2) سورة الإخلاص ، الآيات : 1- 4 .

(3) سورة المائدة ، آية : 72 .

(4) سورة المؤمنون ، آية : 91.

وقال: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ ﴾ (١).

وقال : ﴿ ما ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (٢).

وقال : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (٣).

موضع هذا الجزء من طبعتي شيخ الأزهر صفحتي ٩٢٦ ، ٩٢٧

• أهداف الإسلام من الجهاد

فالهدف الأول من الجهاد فتح الطريق أمام بلوغ الدعوة الإسلامية إلى الناس ، وإزالة العوائق من طريق التبليغ ، ووصول دعوة الإسلام عقيدة وشريعة ، قولا وعملا إلى أمة الدعوة ، وحين يتبين لهم الرشد من الغى لا إكراه فى الدين ، من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .

لقد عاش محمد ﷺ فى مكة ثلاث عشرة سنة يحاول تبليغ دعوة

(١) سورة النساء ، الآيتان : ١٧١ – ١٧٢ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٧٥.

(٣) سورة آل عمران ، آية : ٦٤.

الإسلام إلى من يتصل به ، فآذاه المشركون وحاربوه ، وكان كلما جلس إلى قوم فى موسم الحج ، ودعاهم إلى الإسلام وقرأ عليهم القرآن حاصروهم وقالوا لهم : لا تصدقوه . هذا ساحر يفرق بين المرء وأهله ، وشددوا الأذى حتى حاصروه وأهله فى شعب أبى طالب ثلاث سنوات ، ثم أخذوا فى إهانته حتى سبوه ، ووضعوا القذى على رأسه وهو ساجد ، فكان يعرض نفسه على القبائل وهو يقول : من يحمينى من أذى قومى حتى أبلغ رسالة ربى ؟

فلما هيأ الله للإسلام أهل المدينة ، واستقر المسلمون فى دار آمنة ، وأصبحوا قوة يمكنها أن تشق طريق الدعوة بالقوة ، وتبلغها للناس عن طريق إزالة العوائق أذن لهم فى قتال الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادًا .

وأخذ زعماء الكفر يحولون بين رعاياهم وبين الإسلام ، إبقاءً لسلطانهم ، واستمرارًا لطغيانهم ، يُكتِّلون بين القبائل ، ويحزبون بين طوائف الشرك ، ويتوعدون المسلمين ، ويستعدون لهم بالسلاح ، ويختلقون الأسباب لحربهم ، فكان أكثر حروب المسلمين حروبًا دفاعيَّة ، وحروبًا تحريرية ، وفتحًا لنوافذ الكفر ليدخل منها هواء الإيمان .

إذن لم يجئ الإسلام ليفرض دينًا ، بل جاء ليحمى حرية اختيار الدين ، وشاهد ذلك أن البلاد التى فتحت بالإسلام بقى فيها أناس غير مسلمين ، قال تعالى : **﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾**(١).

---

(١) سورة النساء ، آية : ٧٥ .

وقد أذن الله لرسوله والمؤمنين فى القتال ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ ﴾ بأن يقاتلوا ﴿ بِأَنَّهُم ﴾ أى لأنهم ﴿ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ ﴾ أى لا موجب لهذا الإخراج إلا التوحيد ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ ﴾ أبنية للعبادة ، والصوامع قبل الإسلام مختصة برهبان النصارى وبعبادة الصابئة ، والمراد بها هنا متعبد الرهبان ﴿ وَبِيَعٌ ﴾ والمراد بها هنا متعبد النصارى ولا تختص برهبانهم ، والمعنى أن الله فى قضائه وحكمه ، جعل الظالم مهددًا بمن يوقف طغيانه عند حد ، ولولا ذلك لاكتسح من عداه وتكبر وتجبر، وقال أنا ربكم الأعلى وحطم متعبدات الآخرين ﴿ وَصَلَوَٰتٌ ﴾ يريد كنيسة اليهود ﴿ وَمَسَـٰجِدُ ﴾ يتعبد فيها المسلمون ﴿ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (1) .

والهدف الثانى من الجهاد استرداد بعض ما اغتصبه الكفار من المسلمين .. ولقد كانت قريش تستولى على ديار الذين هاجروا وأموالهم ، وقد سبق أن مصعب بن عمير منع من الهجرة حتى تنازل لكفار قريش عما يملك ، وروى أن أبا سفيان استولى على بيوت بنى جحش بن رئاب لما هاجر أهلها فباعها ، ولما اشتكى عبد الله بن جحش لرسول الله ﷺ قال له : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارًا فى الجنة خيرًا منها ؟

ولما هاجر رسول الله ﷺ وعلى بن أبى طالب وجعفر بن أبى طالب استولى على دارهم عقيل وطالب لكونهما لم يكونا أسلما ، فلما قتل طالب

---

(1) سورة الحج ، الآيتان : ٣٩، ٤٠ .

فى بدر باع عقيل الدار كلها لمحمد بن يوسف أخى الحجاج بمائة ألف دينار. فالمسلمون أخرجوا من ديارهم وأموالهم كما يصفهم القرآن الكريم.

• الجهاد شريعة سابقة

والإسلام ليس بدعًا من الأديان فى تشريع الجهاد، فبنو إسرائيل كتب عليهم الجهاد، إذ يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وكانوا قد أذلوا وغلبهم عدوهم ﴿ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ﴾ أى أترجى إن أمرتم بالقتال أن تقاتلوا ﴿ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ ﴾ وتقاعسوا وتهربوا والتمسوا المعاذير ﴿ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٢٤٦) ﴾ (1).

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ﴿ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ﴾ ونحن من نسل المملوك ﴿ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ (٢٤٧) ﴾ (2).

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ

---

(1) سورة البقرة، آية: ٢٤٦.

(2) سورة البقرة، آية: ٢٤٧.

﴿ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ (١) وخرج بهم ، وكانوا ثمانين ألفًا ، وتجاوز النهر بالذين لم يطعموه ، وكانوا أربعة آلاف . فلما نظروا إلى جالوت وجنوده وكانوا مائة ألف مدججين بالسلاح خافوا فلجأوا إلى الله . فهزموهم بإذن الله . وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله – هزم طالوت وجنوده جالوت وجنوده ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ داود كان فى جيش طالوت ، فلما طلب جالوت المبارزة وعد طالوت من يخرج لمبارزته أن يزوجه ابنته ، ويحكمه فى ماله ، وكان داود ﴿ وَءَاتَنهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ (٢).

وسليمان عليه السلام هدد بلقيس ، وقال للهدهد : ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (٣).

ويوشع بن نون من أنبياء بنى إسرائيل غزا وقاتل كما فى الحديث :

٣١٢٤ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « غَزَا نَبِىٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ : لاَ يَتْبَعْنِى رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِىَ بِهَا وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا ، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتاً وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا ، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَماً أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا . فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلاَةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيباً مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ لِلشَّمْسِ إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا . فَحُبِسَتْ ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَجَمَعَ الْغَنَائِمَ ، فَجَاءَتْ – يَعْنِى النَّارَ – لِتَأْكُلَهَا ، فَلَمْ تَطْعَمْهَا ، فَقَالَ إِنَّ فِيكُمْ غُلُولاً . فَلْيُبَايِعْنِى مِنْ

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٤٩.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٥١ .

(٣) سورة النمل ، آية : ٣٧

كُلِّ قَبِيلَةٍ رَجُلٌ . فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ فِيكُمُ الْغُلُولُ . فَلْتُبَايِعْنِى قَبِيلَتُكَ ، فَلَزِقَتْ يَدُ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِهِ فَقَالَ فِيكُمُ الْغُلُولُ ، فَجَاءُوا بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ فَوَضَعُوهَا ، فَجَاءَتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا ، ثُمَّ أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْغَنَائِمَ رَأَى ضَعْفَنَا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا » .

فالجديد فى جهادنا حل الغنائم ، وكان من قبلنا إذا غنموا غنيمة بعث الله عليها النار ، فتأكلها كدليل على صحة القتال وقبوله من الله . قال الخطابى : كان من تقدم على ضربين : منهم من لم يؤذن له فى الجهاد أصلا ، فلم تكن لهم مغانم ، ومنهم من أذن له فيه ، لكن كانوا إذا غنموا شيئًا لم يحل لهم أن يأكلوه ، وجاءت نار فأحرقته ، والحديث الآتى يؤكد أن الخصوصية لأمة الإسلام هى الغنائم .

٣٣٥ - فعن جابر بن عبد اللَّه - رضى الله عنهما - أَنَّ رسول الله ﷺ **قَالَ : « أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِى : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِىَ الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِى أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ ، وَأُحِلَّتْ لِىَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِى ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ ، وَكَانَ النَّبِىُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً ، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً »** .

• الجهاد

ينقل إلى ص ٩٢٩

والجهاد بذل الجهد وتحمل المشقة فى قتال الكفار ، ويطلق أيضًا على مجاهدة النفس الأمارة بالسوء والشيطان والفساق ، فتحمل المشقة وبذل الجهد فى تعلم أمور الدين والعمل بها وتعليمها جهاد ، ودفع ما يوسوس به الشيطان من الشبهات والشهوات جهاد ، ومقاتلة الكفار باليد والمال واللسان والقلب من أجل أن يؤمنوا جهاد . وتحمل المشقة وبذل الجهد فى أمر الفساق بالمعروف ونهيهم عن المنكر جهاد .

يعطل إلى
ص ٩٢١

والمقصود هنا مقاتلة الكفار ، وكانت في المرحلة الأولى من الدعوة ممنوعة ، لأن المسلمين كانوا قلة ضعيفة ، فمخاطرتهم هلاك لهم ، بل كانت الدعوة فى أول أمرها سرية ، ثم أعلنت وتحمل أهلها من الأذى والإهانة ما جعلهم يهاجرون ثم يهاجرون ثم يهاجرون .

• **مراحل تشريع الجهاد** :

١. لم يشرع القتال للمسلمين وهم فى مكة قبل الهجرة إلى المدينة لقلة عددهم وضعفهم ، وعدم توفر عدة الجهاد لديهم مع قوة عدوهم وبطشه ، لكن شرع لهم جهاد النفس والهوى والشيطان كأساس أصيل لكل أنواع الجهاد ، قال ابن القيم : "ولما كان جهاد أعداء الله فى الخارج فرعًا على جهاد العبد نفسه فى ذات الله ، كما قال النبى ﷺ : « المجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه » كان جهاد النفس مقدمًا على جهاد العدو فى الخارج وأصلا له ، فإنه ما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرت به وتترك ما نهيت عنه ويحاربها فى الله لم يمكنه جهاد عدوه فى الخارج ، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصاف منه ، وعدوه الذى بين جنبيه قاهر له متسلط عليه لم يجاهده ولم يحاربه فى الله ، بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه حتى يجاهد نفسه على الخروج .

٢. أذن للمسلمين فى القتال بعد هجرتهم إلى المدينة ولم يكن مفروضًا عليهم قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴾ [1] . قال الواحدى فى أسباب النزول : كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ ، فلا يزالون

(١) سورة الحج ، آية : ٣٩ .

يجيئون من بين مضروب ومشجوج ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ فقال : اصبروا فإنى لم أؤمر بالقتال ، حتى هاجر رسول الله ﷺ فأنزل الله هذه الآية .

٣. فرض قتال من قاتل المسلمين قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ (١).

٤. الأمر بقتال المشركين كافة قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

من أجل هذا أذن لهم فى القتال ، ورغبهم الله فيه ، وحضهم عليه ، وأمرهم بالاستعداد له ، فقال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ۝٦٠ ﴾ (٣).

• فضل الجهاد

ونزلت الآيات الكثيرة فى فضل الجهاد منها :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٩٠ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٣٦ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ (١).

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ (٢).

﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ ﴾ (٣).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (٤).

وجاءت أحاديث كثيرة فى فضل الجهاد . منها :

٢٧٨٥ – عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : دُلَّنِى عَلَى عَمَلٍ يَعْدِلُ الْجِهَادَ . قَالَ : « لاَ أَجِدُهُ – قَالَ – هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتَقُومَ وَلاَ تَفْتُرَ وَتَصُومَ وَلاَ تُفْطِرَ ؟ » قَالَ : وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِنَّ فَرَسَ الْمُجَاهِدِ لَيَسْتَنُّ فِى طِوَلِهِ – أى ليتحرك فى امتداد حبله – فَيُكْتَبُ لَهُ

---

(١) سورة التوبة ، آية : ١١١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٦٩ ، ١٧٠.

(٣) سورة النساء ، آية : ٧٤ .

(٤) سورة الصف، الآيتان : ١٠ ، ١١.

حَسَنَاتٍ .

وطلبت عائشة جهادًا للنساء ، وكان الحديث :

٢٧٨٤ - عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - أَنَّهَا قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ ؟ قَالَ : « لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ » .

وقد بين رسول الله ﷺ أن الغدوة فى سبيل الله أو الروحة أو رباط يوم خير من الدنيا وما فيها وما عليها كما فى الحديثين :

٢٧٩٢ - فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « لَغَدْوَةٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » .

٢٨٩٢ - وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « رِبَاطُ يَوْمٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا ، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا الْعَبْدُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ الْغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا » .

وقد شبه رسول الله ﷺ المجاهد بالصائم النهار القائم الليل من حين أن يخرج إلى حين أن يعود فى الحديث :

٢٧٨٧ - عن أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِى سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِماً مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ » .

والملائكة تشيع الشهيد وتظله حتى يرفع ، جاء ذلك فى الحديث :

٢٨١٦ - عن جَابِر بن عبد الله - رضى الله عنهما - قال : جِىءَ بِأَبِى إِلَى النَّبِىِّ ﷺ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ وَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَذَهَبْتُ أَكْشِفُ عَنْ

وَجْهِهِ ، فَنَهَانِى قَوْمِى ، فَسَمِعَ صَوْتَ صَائِحَةٍ فَقِيلَ : ابْنَةُ عَمْرٍو ، أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو . فَقَالَ : « لِمَ تَبْكِى أَوْ لاَ تَبْكِى ، مَا زَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا » . قُلْتُ لِصَدَقَةَ أَفِيهِ حَتَّى رُفِعَ قَالَ رُبَّمَا قَالَهُ .

والشهيد حين يرى أجره العظيم يوم القيامة يتمنى أن يعود إلى الدنيا ليقتل ثم يعود إليها ليقتل كما جاء فى الأحاديث :

٢٧٩٧ - عن أبى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّى ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّى أُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ » .

٢٨١٧ - وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ أن النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَىْءٍ ، إِلاَّ الشَّهِيدُ يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ » .

٢٧٩٥ - وعن أَنَس بْنِ مَالِكٍ ﷺ أن النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، إِلاَّ الشَّهِيدَ ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى » .

بل أشاد صلى الله عليه وسلم بالجرح فى سبيل الله ، فقال :

٢٨٠٣ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ أَحَدٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِى سَبِيلِهِ - إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ » .

بل أشاد بإغبرار أقدام المجاهدين فى سبيل الله ، فقال :

٢٨١١ – عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَبْرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَا اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ » .

بل فتح الباب أمام من عجز عن الجهاد ولم يتمكن من القتال بنفسه أن يستأجر من ينوب عنه أو يخرج من ماله ما يساعد المجاهدين ، فالجهاد بالمال بديل عن الجهاد بالنفس ، إذ يقول تعالى : ﴿ **ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ** ﴾[١].

بل من عجز عن الجهاد بنفسه وماله خلف الغازى فى أهله بخير ، وقام بحوائج أهل الغازى وخدمتهم وإنجاز مطالبهم ، فرسول الله ﷺ يقول :

٢٨٤٣ – عن زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « مَنْ جَهَّزَ غَازِياً فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا ، وَمَنْ خَلَفَ غَازِياً فِى سَبِيلِ اللَّهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا » .

وحتى من حبسه العذر ، وعجز عن الجهاد بنفسه أو ماله وعن أن يخلف غازيًا ، لكنه أسف وحزن على ما فاته كان له أجر المجاهد ، فالله تعالى يقول : ﴿ **لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا**

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٢٠.

تَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [1].

٢٨٣٩ - وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي غَزَاةٍ فَقَالَ : « إِنَّ أَقْوَاماً بِالْمَدِينَةِ خَلْفَنَا ، مَا سَلَكْنَا شِعْباً وَلاَ وَادِياً إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا فِيهِ ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ » .

وتفاعل الصحابة مع هذا الترغيب ، وجرى فى دمائهم ، حتى ندم من تخلف لعذر ، وتحسر على ما فاته ، واستعد لما سيأتى . يتضح ذلك من موقف أنس بن النضر كما فى الحديث :

٢٨٠٥ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : غَابَ عَمِّى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ عَنْ قِتَالِ بَدْرٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ ، لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِى قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أَصْنَعُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ قَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّى أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ - يَعْنِى أَصْحَابَهُ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ » - يَعْنِى الْمُشْرِكِينَ - ثُمَّ تَقَدَّمَ ، فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَقَالَ : يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ ، الْجَنَّةَ ، وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّى أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ . قَالَ سَعْدٌ : فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا صَنَعَ . قَالَ أَنَسٌ : فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعاً وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ . قَالَ أَنَسٌ : كُنَّا نَرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِى أَشْبَاهِهِ ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ [2] إِلَى آخِرِ الآيَةِ .

---

(١) سورة التوبة ، الآيتان : ٩١ ، ٩٢ .

(٢) سورة الأحزاب ، آية :٢٣ .

وهذا صحابى آخر حديث عهد بالإسلام

٢٨٠٨ – عن الْبَرَاء ﷺ قال : أَتَى النَّبِىَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالْحَدِيد فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُ وَأُسْلِمُ . قَالَ : « أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ » . فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ ، فَقُتِلَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « عَمِلَ قَلِيلاً وَأُجِرَ كَثِيراً » .

وهذا النعمان بن قوقل ، الرجل الأعرج ، الذى رفع عنه الجناح والحرج يصر على أن يجاهد ويسابق فى المعركة ويقول : أقسمت عليك يا رب : أن لا تغيب شمس هذا اليوم حتى أطأ بعرجتى فى الجنة ، ويقاتل قتال الأبطال ، فيستشهد ، فيقول صلى الله عليه وسلم : رأيته فى خضر الجنة يمشى وما به من عرج .

٢٨٣٢ – وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِىِّ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ جَالِساً فِى الْمَسْجِدِ ، فَأَقْبَلْتُ حَتَّى جَلَسْتُ إِلَى جَنْبِهِ ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ زَيْدَ ابْنَ ثَابِتٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَمْلَى عَلَيْهِ ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ { غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ } وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (١) قَالَ فَجَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَهُوَ يُمِلُّهَا عَلَىَّ ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ . وكَانَ رَجُلاً أَعْمَى ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِى ، فَثَقُلَتْ عَلَىَّ حَتَّى خِفْتُ أَنْ تَرُضَّ فَخِذِى ، ثُمَّ سُرِّىَ عَنْهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ ﴾ (٢) .

٢٧٨٩ – وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قال : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ ، فَتُطْعِمُهُ ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ – قيل: كانت محرمًا له من الرضاع– فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) سورة النساء ، آية : ٩٥ .

(٢) سورة النساء ، آية : ٩٥.

فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِى رَأْسَهُ ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّه ﷺ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ : فَقُلْتُ : وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ ، غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّه ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ – ظهره ووسطه – مُلُوكاً عَلَى الأَسِرَّةِ ، أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ » – أى سيكونون كذلك فى الجنة – شَكَّ إِسْحَاقُ . قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ . فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ : وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّه ؟ قَالَ : « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَىَّ ، غُزَاةً فِى سَبِيلِ اللَّه » . كَمَا قَالَ فِى الأَوَّلِ . قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّه ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِى مِنْهُمْ . قَالَ : « أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ » . فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ فِى زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ .

لكن يجب أن ننبه على أهمية إخلاص النية لله سبحانه وتعالى فى الجهاد ففى الحديث :

٢٨١٠ – عَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ ، فَمَنْ فِى سَبِيلِ اللَّه ؟ قَالَ : « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِى سَبِيلِ اللَّه » .

• التحريض على القتال

ولهذه الفضيلة كان المسلمون فى حاجة إلى جرعة توعية وإثارة وتحريض ، ولقد أثار الله فيهم حمية القتال ، ووعدهم إحدى الحسنيين النصر فى الدنيا أو النعيم فى الآخرة أو الحسنيين معًا ، فقال :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ

صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ [1]. أمر من الله تعالى إلى كل مسلم فى الميدان أن يقاتل عشرة من الأعداء لا يفر ، ووعد على الله والاعتماد عليه فى النصر ﴿ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ [2]. والكثرة تعتمد على نفسها فى النصر ، ويقل اعتمادها على الله كما حدث فى غزوة حنين ﴿ لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴿٢٥﴾ [3].

لكن مقاومة الواحد لعشرة أمر شاق معجز ، ولا سبيل إلى رفض الأمر مهما كان شاقًا ، فخضعوا له ، واستسلموا له ، فنزل ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ [4].

وقال : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ﴿٤﴾ [5].

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٦٥.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٤٩ .

(٣) سورة التوبة ، آية : ٢٥ .

(٤) سورة الأنفال ، آية : ٦٦ .

(٥) سورة النساء ، آية : ٧٦ .

وقال : ﴿ قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥ ﴾ [١].

وقال : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ ﴾ [٢].

وقال : ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣ ﴾ [٣].

وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٢٣ ﴾ [٤].

وقال : ﴿ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢ ﴾ [٥].

• الاستعداد للقتال

وإذ تم الأمر بالصبر والثبات عند لقاء العدو كان الأمر بالاستعداد له لئلا يكون الأمر بالصبر والثبات صادرًا إلى أعزل ضعيف . قال الله

---

(١) سورة الصف ، آية : ٤.

(٢) سورة التوبة ، الآيتان : ١٤ ، ١٥.

(٣) سورة آل عمران ، آية : ١٤٦ .

(٤) سورة التوبة ، الآيتان : ١٣ .

(٥) سورة التوبة ، آية : ١٢ .

تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (١).

وقد كانت الخيل عندهم أهم أسلحة الحرب ، تكر وتفر ، وتتقدم وتتأخر وتلف وتدور ؛ لهذا خصها الله بالذكر ، ويقاس عليها الأسلحة المتقدمة فى العصر الحديث

ولقد آثار فيهم رسول الله ﷺ حمية الغزو ، وحرض المؤمنين على القتال ، كما أمره الله تعالى ، وشجع على التدريب على السلاح ، وعلى تربية الخيل والعناية بها . فقال :

٢٨٥٠ – « الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِى نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » .

وقال :

٢٨٥١ – عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « الْبَرَكَةُ فِى نَوَاصِى الْخَيْلِ » .

وعند أحمد : « الْخَيْلُ فِى نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ مَعْقُودٌ أَبَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رَبَطَهَا عُدَّةً فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْفَقَ عَلَيْهَا احْتِسَاباً فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّ شِبَعَهَا وَجُوعَهَا وَرِيَّهَا وَظَمَأَهَا وَأَرْوَاثَهَا وَأَبْوَالَهَا فَلَاحٌ فِى مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَنْ رَبَطَهَا رِيَاءً وَسُمْعَةً وَفَرَحاً وَمَرَحاً فَإِنَّ شِبَعَهَا وَجُوعَهَا وَرِيَّهَا وَظَمَأَهَا وَأَرْوَاثَهَا وَأَبْوَالَهَا خُسْرَانٌ فِى مَوَازِينِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » .

وعند الترمذى : « إِنَّ اللَّهَ لَيُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةً الْجَنَّةَ صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِى صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ وَالرَّامِىَ بِهِ وَالْمُمِدَّ بِهِ » . وَقَالَ « ارْمُوا وَارْكَبُوا وَلَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا كُلُّ مَا يَلْهُو بِهِ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ بَاطِلٌ إِلَّا

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٦٠ .

رَمْيَهُ بِقَوْسِهِ وَتَأْدِيبَهُ فَرَسَهُ وَمُلاَعَبَتَهُ أَهْلَهُ فَإِنَّهُنَّ مِنَ الْحَقِّ » .

وقال :

٢٨٦٠ - « الْخَيْلُ لِثَلاَثَةٍ لِرَجُلٍ أَجْرٌ ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ ، فَأَمَّا الَّذِى لَهُ أَجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، فَأَطَالَ فِى مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ ، فَمَا أَصَابَتْ فِى طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ الْمَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ ، وَلَوْ أَنَّهَا قَطَعَتْ طِيَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ أَرْوَاثُهَا وَآثَارُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَهَا كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِئَاءً وَنِوَاءً لأَهْلِ الإِسْلاَمِ فَهْىَ وِزْرٌ عَلَى ذَلِكَ » . وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْحُمُرِ ، فَقَالَ « مَا أُنْزِلَ عَلَىَّ فِيهَا إِلاَّ هَذِهِ الآيَةُ الْجَامِعَةُ الْفَاذَّةُ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ (١).

ولم يقصر الصحابة فى إعداد الخيل للمعركة ، فكانوا يضمرونها ، وذلك بأن يعلفوها حتى تسمن وتقوى ، ثم يقلل علفها ، ويكتفى بقدر القوت وتدخل بيتًا ، وتغطى بغطاء حتى تحمى فتعرق ، فإذا جف عرقها خف لحمها وقويت على الجرى . كما عنوا بإجراء مسابقات للخيل تدريبًا لها على سرعة الجرى . وفى ذلك الحديث :

٢٨٦٨ - عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ : أَجْرَى النَّبِىُّ ﷺ مَا ضُمِّرَ مِنَ الْخَيْلِ مِنَ الْحَفْيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ ، وَأَجْرَى مَا لَمْ يُضَمَّرْ مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِى زُرَيْقٍ . قَالَ ابْنُ عُمَرَ : وَكُنْتُ فِيمَنْ أَجْرَى .

قَالَ سُفْيَانُ : بَيْنَ الْحَفْيَاءِ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ خَمْسَةُ أَمْيَالٍ أَوْ سِتَّةٌ ،

---

(١) سورة الزلزلة ، الآيتان : ٧ ، ٨ .

وَبَيْنَ ثَنيَّةِ الوداع إِلَى مَسْجِدِ بَنِى زُرَيْقٍ مِيلٌ .

٢٨٦٩ - وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِى لَمْ تُضَمَّرْ ، وكَانَ أَمَدُهَا مِنَ الثَّنِيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بَنِى زُرَيْقٍ . وأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ كَانَ سَابَقَ بِهَا

٢٨٧٠ - وعَنِ ابْنِ عُمَرَ - رضى الله عنهما - قَالَ سَابَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِى قَدْ أُضْمِرَتْ فَأَرْسَلَهَا مِنَ الْحَفْيَاءِ ، وكَانَ أَمَدُهَا ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ . فَقُلْتُ : فَكَمْ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ سِتَّةُ أَمْيَالٍ أَوْ سَبْعَةٌ . وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِى لَمْ تُضَمَّرْ ، فَأَرْسَلَهَا مِنْ ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ ، وكَانَ أَمَدُهَا مَسْجِدَ بَنِى زُرَيْقٍ ، قُلْتُ : فَكَمْ بَيْنَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِيلٌ أَوْ نَحْوُهُ . وكَانَ ابْنُ عُمَرَ مِمَّنْ سَابَقَ فِيهَا .

وفى هذه الأحاديث مشروعية المسابقة ، وأنها ليست من العبث ، بل من الرياضة المحمودة الموصلة إلى منافع فى الغزو ، وعلة الانتفاع بها ، فهى مستحبة أو مباحة حسب الغاية المقصودة منها .

قال القرطبى : لا خلاف فى جواز المسابقة على الخيل وغيرها من الدواب ، وعلى الأقدام ، وكذلك الترامى بالسهام وبالأسلحة الأخرى ، وقصرها بعضهم على ذات الخف - الإبل - وذات الحافر ؛ وهى الخيل ، والنصل ؛ وهى الرمى بالسهام ، وأجازها بعضهم فى كل شيء .

واتفق العلماء على جوازها بعوض ، بشرط أن يكون من غير المتسابقين كأن يكون من طرف ثالث حاكم أو غيره ، وأجازها الجمهور إذا كان العوض من أحد المتسابقين ، أما أن يخرج كل منهما مبلغا ، فمن غلب أخذ المبلغين فهذا متفق على منعه .

ومن الإعداد للحرب التدريب على جميع الأسلحة التى يمكن أن

تستعمل فى المعركة ، وقد شجع رسول الله ﷺ المسابقة والمباراة فى الرمى حيث جاء فى الحديث :

٢٨٩٩ – عن سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ ﷺ قَالَ : مَرَّ النَّبِىُّ ﷺ عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَسْلَمَ يَنْتَضِلُونَ فقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « ارْمُوا بَنِى إِسْمَاعِيلَ ، فَإِنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِياً ارْمُوا وَأَنَا مَعَ بَنِى فُلاَنٍ » . قَالَ : فَأَمْسَكَ أَحَدُ الْفَرِيقَيْنِ بِأَيْدِيهِمْ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا لَكُمْ لاَ تَرْمُونَ ؟ » قَالُوا : كَيْفَ نَرْمِى وَأَنْتَ مَعَهُمْ ؟ قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « ارْمُوا فَأَنَا مَعَكُمْ كُلِّكُمْ » .

وشجع الحبشة على اللعب بالعصا فى الحديث :

٢٩٠١ – عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : بَيْنَا الْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ النَّبِىِّ ﷺ بِحِرَابِهِمْ دَخَلَ عُمَرُ ، فَأَهْوَى إِلَى الْحَصَى فَحَصَبَهُمْ بِهَا . فَقَالَ : « دَعْهُمْ يَا عُمَرُ » . قال مَعْمَرٌ : فِى الْمَسْجِدِ .

واستعد صلى الله عليه وسلم للحرب ، وكانت له بغلة بيضاء وناقة عصباء جاهد عليهما ، كما فى الحديث :

٢٨٧٢ – عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ : كَانَ لِلنَّبِىِّ ﷺ نَاقَةٌ تُسَمَّى الْعَضْبَاءَ لاَ تُسْبَقُ – قَالَ حُمَيْدٌ أَوْ لاَ تَكَادُ تُسْبَقُ – فَجَاءَ أَعْرَابِىٌّ عَلَى قَعُودٍ فَسَبَقَهَا فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، حَتَّى عَرَفَهُ فَقَالَ : « حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَنْ لاَ يَرْتَفِعَ شَىْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ وَضَعَهُ » .

٢٨٧٤ – وعَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ لَهُ رَجُلٌ : يَا أَبَا عُمَارَةَ وَلَّيْتُمْ يومْ حُنَيْنٍ . قَالَ : لاَ ، وَاللَّه مَا وَلَّى النَّبِىُّ ﷺ وَلَكِنْ وَلَّى سَرَعَانُ النَّاسِ ، فَلَقِيَهُمْ هَوَازِنُ بِالنَّبْلِ وَالنَّبِىُّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذٌ بِلِجَامِهَا ، وَالنَّبِىُّ ﷺ يَقُولُ : « أَنَا النَّبِىُّ لاَ كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ » .

وقد وضعت الشريعة الإسلامية قواعد وضوابط للقتال نذكر منها :

١- لا يقتل النساء

٣٠١٤ - عن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال : أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِى النَّبِيِّ ﷺ مَقْتُولَةً ، فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ .

قال العلماء : لا يقتل النساء ولا الصبيان اتفاقًا ولا أهل الصوامع ولا الشيخ الفانى خلافًا للشافعية ، إلا أن يخاف منهم أذى أو تدبير ، ولا يقتل المعتوه ولا الأعمى ، واختلف إذا كانا ذوى تدبير .

فأما المرأة فإنها أن قاتلت تقتل ، وأما الصبى فله حالتان : إحداهما ألا يشك فى أنه صبى فلا يقتل ، وظاهر كلامهم : وإن قاتل . الثانية إن شك فيه فالحكم أن يكشف عن مئزره فيقتل إن نبت شعر عانته . والمراهق كالمرأة إن قاتل بالسيف وشبهه قتل ، وإن رمى بالحجارة لم يقتل إلا أن يقتل فيقتل بذلك .

٢ - لا يقتل الضعفاء

وأما المجنون فإن كان لا يفيق أبدًا لم يقتل ، وإن كان يفيق أحيانًا قال بعضهم : يقتل .

وأما الشيخ الفانى فلا يقتل إلا أن يعلم أنه ممن له الرأى والتدبير على المسلمين .

وأما الزمنى كالمقعد والأشل والأعرج الذين لا رأى له ولا تدبير فلا يقتلون . وكذلك لا يقتل الأعمى والراهب المنعزل فى دير إلا أن يعلم أن له رأيًا وتدبيرًا على المسلمين .

٣ ٢- لا يعذب بعذاب ، ولا يستخدم الحريق

٣٠١٦ - عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّــهُ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُــولُ اللَّهِ ﷺ

فِى بَعْث فَقَالَ : « إنْ وَجَدْتُمْ فُلاَناً وَفُلاَناً فَأَحْرِقُوهُمَا بِالنَّـارِ » ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ حينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ : « إِنِّى أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلاَناً وَفُلاَناً وَإِنَّ النَّارَ لاَ يُعَذِّبُ بِهَا إِلاَّ اللَّهُ ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا »

٤- **الحرب خدعة** فيرخص فيها بالكذب

كما تشير الأحاديث :

٣٠٢٨ - وَسَمَّى الْحَرْبَ خُدْعَةً .

٣٠٢٩ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمَّى النَّبِىُّ ﷺ الْحَرْبَ خُدْعَةً .

وفى غزوة الأحزاب نكثت قريظة العهد ، واتفقوا مع قريش وغطفان على محاربة محمد ﷺ ، وفى هذه الأثناء جاء نعيم بن مسعود الغطفانى إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله . إنى قد أسلمت ، وإن قومى لم يعلموا بإسلامى . فمرنى بما شئت . فقال رسول الله ﷺ : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ، وادخل بين القوم ففرق بينهم بالوقيعة ، فإن الحرب خدعة .

فخرج نعيم حتى أتى بنى قريظة ، وكان نديمًا لهم فى الجاهلية ، فقال : يا بنى قريظة . قد عرفتم ودى إياكم . قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم . فقال لهم : إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم ، البلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ، وقد ظاهرتموهم وأعنتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم وأولادهم ونساؤهم بغيره ، فليس كأنتم ، ولا طاقة لكم بهم إن خلوا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنًا من أشرافهم ، يكونوا بأيدكم ضمانا لكم حتى تقاتلوا معهم محمدًا . فقالوا له : قد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشًا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم ودى لكم ، وفراقى محمدًا ، وإنه قد بلغنى أمر ،

رأيت علىّ حقًا أن أبلغكموه نصحًا لكم ، فاكتموا عنى . قالوا : نفعل . قال : اعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم ، فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ؟ ثم نكون معك على من بقى منهم حتى تستأصلهم ؟ فأرسل إليهم: أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنًا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدًا .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يا معشر غطفان . إنكم أصلى وعشيرتى ، وأحب الناس إلىّ ، ولا أراكم تتهموننى . قالوا : صدقت . ما أنت عندنا بمتهم . قال : فاكتموا عنى . قالوا : نفعل . فما أمرك ؟ قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم .

فأرسل أبو سفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة ابن أبى جهل فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام ، وقد تعبنا من الانتظار على طرف الخندق ، فبكروا معنًا صباحًا بقتال محمد. فقالوا : لسنا بالذين نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا من رجالكم يكونوا بأيدينا ، فإنا نخشى إن اشتد عليكم القتال أن تشمروا إلى بلادكم ، وتتركونا والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه .

فلما رجعت الرسل بما قالت بنو قريظة أرسلت قريش وغطفان إلى بنى قريظة : إنا والله ، لا ندفع إليكم رجلا واحدًا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لا نقاتل معكم محمدًا حتى تعطونا رهنًا ، فأبوا عليهم ، وخذل الله تجمعهم، وفرق تحزبهم ، وبعث الله على الأحزاب على الشاطئ الآخر من الخندق ريحًا وجنودًا لم تروها ، ففروا عائدين إلى بلادهم . وكانت الخدعة

والوقيعة بين فصائل الكفر من أهم أسباب هزيمة الأحزاب .

• الجهاد الواجب

الجهاد فرض لقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ ﴾ (١).

وفرضه على الكفاية على ما ذهب إليه الجمهور ، يسقط بفعل البعض إذا كان فيهم تحقيق الغرض . وقال الداورى : هو فرض عين على كل من يلى الكفار وإذا حميت أطراف البلاد وسدت الثغور سقط فرض الجهاد وبقى نافلة .

فإن قيل : كيف غضب رسول الله ﷺ على الثلاثة الذين خلفوا مع أنه فرض كفاية ؟ ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (٢).

فالجواب : أنه كان فرض عين على الأنصار لمبايعتهم رسول الله ﷺ على ذلك ، فكان تخلفهم عن هذه الغزوة كبيرة .

ثم إن الجهاد يكون فرض عين بثلاثة أسباب :

أحدها : أمر الإمام . فمن عينه الإمام وجب عليه الخروج .

الثانى : أن يفجأ العدو بلاد الإسلام فيتعين عليهم دفعه ، ولا فرق فى هذه الحالة بين الحر والعبد والمرأة والأعمى والأعرج والمريض ؛ لأنه قتال دفاع عن الدين لا قتال غزو . فإن لم يستقلوا لزم من قاربهم ، فإن لم يستقل الجميع وجب على سائر المسلمين حتى يندفع العدو .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢١٦ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ١١٨ .

الثالث : لاستنقاذ أسارى المسلمين من أيدى الكفرة .

وإذا التقى الزحفان حرم على من حضر الانصراف ، وتعين عليه المقام لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (١).

• شروط وجوب الجهاد

الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والذكورية والاستطاعة بصحة البدن وما يحتاج إليه من المال .

١- الإسلام : أما الكافر فلا جهاد عليه ؛ لأن الشخص لا يخاطب بقتل نفسه .

٢-٣ - البلوغ والعقل ، فلا يجب على الصبى لقوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ ﴾ (٢) فإن المراد بالضعفاء الصبيان لضعف أبدانهم ، وقيل المجانين لضعف عقولهم ، ولقوله صلى الله عليه وسلم : « رفع القلم عن ثلاثة ... » ولأنه صلى الله عليه وسلم رد زيد بن ثابت ورافع بن خديج والبراء بن عازب وابن عمر رضى الله عنهم يوم بدر واستصغرهم .

٤- الحرية فلا تجب على العبد لقوله تعالى : ﴿ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ (٣) .

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٤٥ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٩١ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٧٢ .

وروى عن جابر ﷺ أن عبدًا قدم فبايع رسول الله ﷺ فبايعه على الإسلام والجهاد فقدم صاحبه فأخبره أنه مملوكه فاشتراه رسول الله ﷺ بعبدين ، فكان بعد ذلك إذا أتاه من لا يعرفه يبايعه سأله أحر هو أم مملوك ؟ فإن قال حر بايعه على الإسلام والجهاد ، وإن قال عبد بايعه على الإسلام دون الجهاد ، ولأنه لا يسهم له ولو كان من أهل فرض الجهاد لأسهم له .

٥- الذكورة : فلا يجب على المرأة لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ ﴾ (١) وإطلاق المؤمنين لا يدخل فيه النساء عند الشافعى إلا بدليل . وسألت عائشة - رضى الله عنها - الرسول ﷺ عن الجهاد فقال : « جهادكن الحج » .

٧- الاستطاعة : فلا يجب على غير المستطيع كالمريض والأعمى والأعرج والذى لا يجد ما ينفقه أو لا يجد ما يحمل عليه . قال تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (٢).

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٦٥ .

(٢) سورة التوبة ، آية : ٩١ ، ٩٢ .

• جهاد النافلة

وهو غزو العدو فى دياره ، دون أن يهدد ديار الإسلام لا يجوز إلا بإذن الوالدين

٣٠٠٤ – عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو – رضى الله عنهما – قال : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَاسْتَأْذَنَهُ فِى الْجِهَادِ فَقَالَ : « أَحَىٌّ وَالِدَاكَ » ؟ قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : « فَفِيهِمَا فَجَاهِدْ » .

البعوث والسرايا والغزوات

أمَّن رسول الله ﷺ المدينة من الداخل ببناء المسجد وتوظيفه ، وبالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، وباتفاق العمل الذى قضى بعمل المهاجرين فى أرض الأنصار مقابل نصف الثمر ، وبالمعاهدة التى عقدها بين المسلمين ويهود المدينة .

وأخذ يُؤَمِّن المدينة من الخارج ، والعرب من عاداتهم الإغارة والسلب والنهب ، فليس هناك قانون يردع ، وليس هناك شرطة تحمى ، وليس هناك حدود تَمَلُّك تحترم ، والأمن لمن يحمى نفسه ، ويبعث إلى الصحراء بجنده ، ويبسط سلطانه على غيره .

فأرسل صلى الله عليه وسلم البعوث والسرايا ، وقاد بنفسه الغزوات.

والبعث قطعة صغيرة من الجيش تخرج للقاء قافلة أو للاستطلاع ، أو لرد عدو ، ولا تزيد - غالبًا - عن ثلث الجيش ، أما السرية فهى غالبًا أكثر من البعث ، ولا تزيد عن نصف الجيش ، وتخرج لنفس الهدف الذى يخرج له البعث بالإضافة إلى تأديب من تسول له نفسه مهاجمة المسلمين بالمدينة .

والغزوة ما قادها النبى ﷺ بنفسه ، سواء حصل قتال أو لم يحصل . وقد تطلق الغزوة على البعث أو السرية .

غزوة العشيرة أو العسيرة

قال ابن إسحاق : أول ما غزا النبى ﷺ الأبواء ، ثم بواط ، ثم العشيرة .

٣٩٤٩ - عَنْ أَبِى إِسْحَاقَ قَال : كُنْتُ إِلَى جَنْبِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ ، فَقِيلَ

لَهُ : كَمْ غَزَا النَّبِىُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةٍ ؟ قَالَ : تِسْعَ عَشْرَةَ . قِيلَ : كَمْ غَزَوْتَ أَنْتَ مَعَهُ ؟ قَالَ : سَبْعَ عَشْرَةَ . قُلْتُ : فَأَيُّهُمْ كَانَتْ أَوَّلَ ؟ قَالَ : الْعُسَيْرَةُ أَوِ الْعُشَيْرُ . فَذَكَرْتُ لِقَتَادَةَ فَقَالَ : الْعُشَيْرُ .

والعشيرة عند منزل الحج بينبع ، ليس بينها وبين ينبع إلا الطريق .

خرج صلى الله عليه وسلم فى خمسين ومائة ، وقيل : مائتين . واستخلف على المدينة أبا سلمة بن عبد الأسد .

وكانت الغزوة فى جمادى الأولى .

وكان الهدف اعتراض عير لقريش ، إذ يمرون فى تجارتهم مع الشام بالموقع ذهابًا وإيابًا .

ولم يحصل قتال ، ووادع النبى ﷺ بنى مدلج من كنانة .

غزوة الأبواء أو ودان

الأبواء : قرية بينها وبين الجحفة ثلاثة وعشرون ميلا من جهة المدينة .

أحداث الغزوة : لما وصل رسول الله ﷺ بجيشه إلى الأبواء بعث عبيدة بن الحارث فى ستين رجلا ليعترضوا عير قريش ، فلقوا جمعًا من قريش ، فتراموا بالنبل ، فرمى سعد بن أبى وقاص بسهم ، وكان أول من رمى بسهم فى سبيل الله ، وحجز بينهم مجدى بن عمرو الضمرى ، وذلك فى شهر رمضان من السنة الأولى ، وقد يطلق على هذه الغزوة غزوة ودان – بفتح الواو وتشديد الدال – والأبواء وودان مكانان متقاربان ، بينهما ستة أميال .

غزوة بواط

وهو جبل من جبال جهينة ، قرب ينبع ، خرج رسول الله ﷺ فى شهر ربيع الأول يريد عيرًا لقريش حتى بلغ بواط من ناحية رضوى ، ورجع ولم يلق أحدًا .

هذه السفرات الثلاث فى أزمنة متقاربة ، وأهداف موحدة ، ونتائج متشابهة ، وأماكن متجاورة ، ويمكن أن نعتبرها استعراض قوة ، وإثبات شخصية ، ومصدر إزعاج وتهديد للأعداء .

ولم يهتم العلماء بتحديد حد للغزوات والسرايا والبعوث تحديدًا دقيقًا ، فبعضهم عدَّ الغزوتين غزوة واحدة لقرب مكانيهما أو زمانيهما ، فجعل الغزوات سبع عشرة أو ثمانى عشرة ، وبعضهم توسع كابن سعد إذ بلغ الغزوات التى خرج فيها الرسول ﷺ بنفسه سبعًا وعشرين ، وبعضهم جعلها أربعًا وعشرين .

وأما البعوث والسرايا فعدها ابن إسحاق ستًّا وثلاثين ، وعدها الواقدى ثمانيًا وأربعين ، وعدها ابن الجوزى ستًّا وخمسين ، وعدها المسعودى ستين ، وعند الحاكم أنها تزيد على المائة .

وسنتعرض للمشهور منها .

غزوة بدر الأولى

لما رجع الرسول ﷺ من السفرات الثلاث لم يقم إلا ليالى ، حتى أغار كرز بن جابر الفهرى على سرح المدينة - إبلها - فاستاقه ، فخرج النبى ﷺ فى طلبه ، حتى بلغ سفران من ناحية بدر ، ففاته كرز بن جابر . وهذه الغزوة عرفت ببدر الأولى .

سرية عبد اللّه بن جحش

بعثه صلى الله عليه وسلم فى جمع من المسلمين ، فلقوا ناسًا من قريش راجعين بتجارة من الشام ، فقاتلوهم ، واتفق وقوع ذلك فى رجب ، شهر الله الحرام ، فقتلوا منهم وأسروا ، وأخذوا الذى كان معهم ، وكان أول قتل فى الإسلام ، وأول مال غنم . قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ ﴾ أى القتال فيه عظيم وزرًا ، وما وقع من الصحابة كان من قبيل الخطأ المعفو عنه ﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ ﴾ وكفر بالله ﴿ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ (١) أى ما فعلته قريش بالمسلمين بمكة أعظم جرمًا من حرب المسلمين فى الشهر الحرام .

(١) سورة البقرة ، آية : ٢١٧.

غزوة بدر الكبرى

"بدر" اسم للبئر الذى كانت عنده المعركة ، وقد رأى صلى الله عليه وسلم أن الله يعده إحدى الطائفتين وهى العير – أى القافلة العائدة بالتجارة من الشام لأهل مكة ، وكانت ألف بعير ، تحمل مالا قيمته خمسون ألف دينار ، يحميها ثلاثون رجلا من قريش – أو النفير – أى الحرب – والمراد به النصر على الأعداء وما يتبعه من المغنم .

أخبر رسول الله ﷺ أصحابه بذلك ، فخرجوا يريدون العير ، وكان فى العير أبو سفيان وعمرو بن العاص ، ومخرمة بن نوفل ، فأسرعوا ، واتخذوا طريق ساحل البحر بعيدًا عن المدينة وبدر عندما علموا أن محمدًا وأصحابه يرصدونهم ، فنجوا بعد أن أرسلوا إلى أهل مكة أن يخرجوا إلى بدر لإنقاذ أموالهم ، فخرج زعماء قريش فى ألف راكب ، ومعهم مائة فرس ، مسلحين بما عندهم من أسلحة ، وأرسل إليهم أبو سفيان أنه نجا بقافلته ، وطلب منهم الرجوع إلى مكة ، فأبى زعماؤهم وعلى رأسهم أبو جهل إلا أن يؤدبوا المسلمين ، ويطردوهم من بدر ، ويقيموا بها أيامًا ثلاثة ، ثم يعودون .

• عدة أصحاب بدر

٣٩٥٦ – وعَنِ الْبَرَاءِ ﷺ قَالَ: استصغرت أنا وابن عمر يوْم بدْرٍ ، وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَى سِتِّينَ – النيف ما بين العقدين من أعداد الآحاد ، وقيل كانوا ثمانين أو نيفًا وثمانين – **وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِين وَمِائَتَيْنِ** .

والتحقيق أن أهل بدر من المسلمين كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وقيل ثلاثمائة وأربعة عشر ، وقيل : خمسة عشر ، وربما كان بعضهم يعد

الصغار ، وبعضهم لا يعدهم . وكان المشركون ألفًا ومعهم سبعمائة بعير ومائة فرس .

٣٩٥٧ – عن الْبَرَاء ﷺ يَقُولُ : حَدَّثَنِى أَصْحَابُ مُحَمَّد ﷺ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا أَنَّهُمْ كَانُوا عِدَّةَ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَازُوا مَعَهُ النَّهَرَ ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاَثَمِائَةٍ . قَالَ الْبَرَاءُ : لاَ وَاللَّهِ مَا جَاوَزَ مَعَهُ النَّهَرَ إِلاَّ مُؤْمِنٌ .

وطالوت من ذرية بنيامين بن يعقوب ، شقيق يوسف عليه السلام ، ويقال : إنه كان سقاء ، ويقال : إنه كان دباغًا ، وذكر أهل الأخبار أن المراد بالنهر نهر الأردن ، وإن جالوت كان رأس الجبارين ، وأن طالوت وعد من قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويقاسمه الملك ، فقتله داود ، فوفى له طالوت ، وعظم قدر داود فى بنى إسرائيل حتى استقل بالمملكة حين انخلع طالوت من الملك ، وخرج مجاهدًا هو ومن معه من ولده حتى ماتوا كلهم شهداء . اقرأ القصة فى قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا** ﴾ (١).

وكان المسلمون بضعة عشر وثلاثمائة ، نيف وستون من المهاجرين ، ونيف وأربعون ومائتان من الأنصار خرجوا قليل العدة والسلاح . خرجوا للقافلة التى يحميها ثلاثون رجلا ضعيفى السلاح . وصلوا إلى ماء بدر ، فاستشار الرسول ﷺ أصحابه بعد أن علم فوت القافلة ونجاتها ، وعلم أن قريشًا قريبة بجيشها وزعمائها . أشيروا علىَّ . نرجع إلى المدينة فنتحصن ببيوتنا ؟ أو نبقى نحارب حتى يقضى الله بيننا ؟ فتكلم أبو بكر يسلم الأمر لله ولرسوله ويؤيد الحرب ، فأحسن . وتكلم عمر بمثل ما تكلم أبو بكر فأحسن . قال المقداد : يا رسول الله .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٤٧.

امض لما أراك الله نحن معك . والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى عليه السلام : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا برك الغماد - مكان باليمن - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له صلى الله عليه وسلم خيرًا ودعا له .

٣٩٥٢ - عن ابْن مَسْعُودٍ قال : شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ - الأسود ليس أباه ، إنما كان قد تبناه فنسب إليه ، ولذلك تكتب كلمة "ابن" هنا بالألف - **مَشْهَدًا** ، **لأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ ، أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى الْمُشْرِكِينَ** - يوم بدر وقبل المعركة ، وحين استشار الأنصار فى الحرب أو الرجوع - **فَقَالَ : لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ ﴾ (٢) وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ . فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ . يَعْنِى قَوْلَهُ .**

فقال سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل . قال : فقد آمنا بك ، وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت ، فنحن معك ، فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا ، إنا لصبر فى الحرب ، صدق فى اللقاء ، لعل الله أن يريك منا ما تقرُّ به عينك . فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٢٤ .

(٢) سورة المائدة ، آية : ٢٤ .

بقول سعد . فقال : سيروا وأبشروا ، فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم .

ونزل رسول الله ﷺ وأصحابه أدنى ماء بدر ، فقال له الحباب بن المنذر بن الجموح : يا رسول الله ، أهذا المنزل أنزلكه الله ، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ؟ أم هو الرأى والحرب والمكيدة ؟ قال : بل هو الرأى والحرب والمكيدة . قال : يا رسول الله . فإن هذا ليس بمنزل ، فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فننزله ، ثم نبنى حوضًا فنملأه ماء ، ثم نقاتل القوم ، فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله ﷺ : لقد أشرت بالرأى ، ثم فعل ما أشار به ، وبنوا عريشًا لرسول الله ﷺ ، وقال سعد بن معاذ له : تكون فيه ، وبجوارك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ، فإن أعزنا الله ونصرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام - يا نبى الله - ما نحن بأشد لك حبًّا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ، ويجاهدون معك . فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيرًا ودعا له .

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى من جيش المشركين ، وكان رجلا شرسًا سيئ الخلق ، فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ، أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه . فلما خرج خرج إليه حمزة بن عبد المطلب ؓ فضربه ، فأطار ساقه وقدمه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره ، ثم حبا على يديه إلى الحوض يقتحمه ليبر بيمينه ، فأتبعه حمزة فضربه ، فقتله فى الحوض .

ثم خرج من صفوف المشركين سادات قريش - عتبة بن ربيعة ، وأخوه شيبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة ، خرجوا يطلبون المبارزة ،

فخرج إليهم من صفوف المسلمين ثلاثة فتية من الأنصار ، فقالوا لهم : ممن أنتم ؟ قالوا : من الأنصار ؟ قالوا : ما لنا بكم حاجة، ثم نادى مناديهم : يا محمد : يا محمد . أخرج لنا أكفاءنا من قومنا . فقال رسول الله ﷺ : قم يا عبيدة بن الحارث . قم يا حمزة . قم يا على . فبارز عبيد عتبة ، وبارز حمزة شيبة ، وبارز على الوليد ، فقتل حمزة شيبة ، وقتل على الوليد ، وكر حمزة وعلى بأسيافهما على عتبة فقضوا عليه . والمبارزة لا تكون إلا بإذن الإمام عند أحمد ، وأباحت طائفة المبارزة بدون إذن الإمام وعليه مالك والشافعى .

واصطف الجيشان ، وفى الصف الأول للمسلمين وقف عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه ، ويحكى لنا :

قصة مقتل أبى جهل:

٣١٤١ – عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ : بَيْنَا أَنَا وَاقِفٌ فِى الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِى وَشِمَالِى ، فَإِذَا أَنَا بِغُلامَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا ، تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا ، فَغَمَزَنِى أَحَدُهُمَا ، فَقَالَ : يَا عَمِّ ، هَلْ تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، مَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِى ؟ قَالَ : أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لاَ يُفَارِقُ سَوَادِى سَوَادَهُ حَتَّى يَمُوتَ الأَعْجَلُ مِنَّا . فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ ، فَغَمَزَنِى الآخَرُ فَقَالَ : لِى مِثْلَهَا ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرْتُ إِلَى أَبِى جَهْلٍ يَجُولُ فِى النَّاسِ ، قُلْتُ : أَلاَ إِنَّ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِى سَأَلْتُمَانِى . فَابْتَدَرَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا فَضَرَبَاهُ حَتَّى قَتَلاَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَاهُ ، فَقَالَ : « أَيُّكُمَا قَتَلَهُ ؟ » قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : أَنَا قَتَلْتُهُ . فَقَالَ : « هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيْكُمَا ؟ » قَالاَ : لاَ . فَنَظَرَ فِى السَّيْفَيْنِ ، فَقَالَ : « كِلاَكُمَا

قَتَلَهُ » . سَلَبُهُ لِمُعَاذِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ . وكَانَا مُعَاذَ ابْنَ عَفْرَاءَ وَمُعَاذَ ابْنَ عَمْرِو بْنِ الْجَمُوحِ .

٣٩٦٠ - وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ : اسْتَقْبَلَ النَّبِىُّ ﷺ الْكَعْبَةَ ، فَدَعَا عَلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، عَلَى شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَأَبِى جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ . فَأَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى ، قَدْ غَيَّرَتْهُمُ الشَّمْسُ ، وكَانَ يَوْمًا حَارًّا .

٣٩٦١ - وعنه بلفظ : أَنَّهُ أَتَى أَبَا جَهْلٍ وَبِهِ رَمَقٌ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَلْ أَعْمَدُ مِنْ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ ؟ أى هل هناك أكثر عمدًا وهلاكًا ، وأشد عجبًا وأشد غضبًا من رجل عظيم قتلتموه ؟

٣٩٦٢ - وعن أنسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَنْ يَنْظُرُ مَا صَنَعَ أَبُو جَهْلٍ ؟ » فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ قَالَ : أَأَنْتَ أَبُو جَهْلٍ ؟ قَالَ : فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ . قَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ أَوْ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ ؟ فاجتز ابن مسعود رأسه ، وجاء بها إلى الرسول ﷺ ، فقال : هذا رأس عدو الله أبى جهل ، فلم ينظر رسول الله ﷺ فى وجهه ، فقال : الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله . ثلاث مرات .

٣٩٦٣ - وبلفظ : قَالَ النَّبِىُّ ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ : « مَنْ يَنْظُرُ مَا فَعَلَ أَبُو جَهْلٍ » . فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ ، فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَدَ فأخذ بلحيته فقال : أنت أبا جَهْلٍ ؟ قَالَ : وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلَهُ قَوْمُهُ أَوْ قَالَ : قَتَلْتُمُوهُ .

٤٠٢٠ - بلفظ : أَنْتَ أَبَا جَهْلٍ ؟ - ووجه على لغة من يثبت الألف فى الأسماء الخمسة - وفيه : قال أَبُو جَهْلٍ : فَلَوْ غَيْرُ أَكَّارٍ قَتَلَنِى . الأكار الزراع - ينتقص الأنصار ومن قتله منهم بأنهم أصحاب زرع .

مقتل أمية بن خلف

٣٩٥٠ - عن عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود ﷺ حَدَّثَ عَنْ سَعْد بْنِ مُعَاذ أَنَّـهُ قَالَ : كَانَ صَدِيقًا لأُمَيَّةَ بْنِ خَلَف ، وكَانَ أُمَيَّةُ إِذَا مَرَّ بِالْمَدِينَة نَزَلَ عَلَى سَعْد ، وكَانَ سَعْدٌ إِذَا مَرَّ بِمَكَّةَ نَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ ، فَلَمَّا قَدمَ رَسُولُ اللَّـه ﷺ الْمَدِينَةَ انْطَلَقَ سَعْدٌ مُعْتَمِرًا ، فَنَزَلَ عَلَى أُمَيَّةَ بِمَكَّةَ ، فَقَالَ لأُمَيَّةَ : انْظُرْ لِى سَاعَةَ خَلْوَةَ لَعَلِّى أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ . فَخَرَجَ بِهِ قَرِيبًا مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ ، فَلَقِيَهُمَا أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا صَفْوَانَ ، مَنْ هَذَا مَعَكَ ؟ فَقَالَ : هَذَا سَعْدٌ . فَقَالَ لَهُ أَبُو جَهْلٍ : أَلاَ أَرَاكَ تَطُوفُ بِمَكَّةَ آمِنًا ، وَقَدْ أَوَيْتُمُ الصُّبَاةَ ، وَزَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ تَنْصُرُونَهُمْ وَتُعِينُونَهُمْ ، أَمَا وَاللَّه لَوْلاَ أَنَّكَ مَعَ أَبِى صَفْوَانَ مَا رَجَعْتَ إِلَى أَهْلِكَ سَالِمًا . فَقَالَ لَهُ سَعْدٌ وَرَفَعَ صَوْتَهُ عَلَيْهِ : أَمَا وَاللَّـه لَئِنْ مَنَعْتَنِى هَذَا لأَمْنَعَنَّكَ مَا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْكَ مِنْهُ طَرِيقَكَ عَلَى الْمَدِينَةِ . فَقَالَ لَهُ أُمَيَّةُ : لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ يَا سَعْدُ عَلَى أَبِى الْحَكَمِ سَيِّدِ أَهْلِ الْوَادِى . فَقَالَ سَعْدٌ : دَعْنَا عَنْكَ يَا أُمَيَّةُ ، فَوَاللَّه لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ : إِنَّهُـم قَاتِلُوكَ . قَالَ : بِمَكَّةَ ؟ قَالَ : لاَ أَدْرِى . فَفَزِعَ لِذَلِكَ أُمَيَّةُ فَزَعًا شَدِيدًا ، فَلَمَّا رَجَعَ أُمَيَّةُ إِلَى أَهْلِه قَالَ : يَا أُمَّ صَفْوَانَ ، أَلَمْ تَرَىْ مَا قَالَ لِى سَعْدٌ قَالَتْ : وَمَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ : زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا أَخْبَرَهُمْ أَنَّهُمْ قَاتِلِىَّ ، فَقُلْتُ لَهُ : بِمَكَّةَ ؟ قَالَ : لاَ أَدْرِى . فَقَالَ أُمَيَّةُ : وَاللَّه لاَ أَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ . فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ اسْتَنْفَرَ أَبُو جَهْلٍ النَّاسَ ؟ قَالَ : أَدْرِكُوا عِيرَكُمْ . فَكَرِهَ أُمَيَّةُ أَنْ يَخْرُجَ ، فَأَتَاهُ أَبُو جَهْلٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا صَفْوَان ، إِنَّكَ مَتَى مَا يَرَاكَ النَّاسُ قَدْ تَخَلَّفْتَ وَأَنْتَ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَادِى تَخَلَّفُوا مَعَكَ . فَلَمْ يَزَلْ بِهِ أَبُو جَهْلٍ حَتَّى قَالَ : أَمَا إِذْ غَلَبْتَنِى ، فَوَاللَّه لأَشْتَرِيَنَّ أَجْوَد بَعِيرٍ بِمَكَّةَ ، ثُمَّ قَالَ أُمَيَّةُ : يَا أُمَّ صَفْوَانَ جَهِّزِينِى . فَقَالَتْ لَهُ : يَا أَبَا صَفْوَانَ ، وَقَدْ نَسِيتَ مَا قَالَ لَكَ أَخُوكَ الْيَثْرِبِىُّ ؟ قَالَ : لاَ ، مَا أُرِيدُ أَنْ أَجُوزَ مَعَهُمْ إِلاَّ قَرِيبًا . فَلَمَّا خَرَجَ

أُمَيَّةُ أَخَذَ لاَ يَنْزِلُ مَنْزِلا إِلاَّ عَقَلَ بَعِيرَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ بِذَلِكَ حَتَّى قَتَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِبَدْرٍ .

هكذا كان زعماء كفار مكة يخافون دعاء النبى ﷺ ، ويخافون وعيده ، ويصدقون إخباره بالغيب ، وهكذا وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم من قتل أمية بن خلف فى بدر ، وفى رواية : قال أمية بن خلف لامرأته : والله ما يكذب محمد . والله لا أخرج من مكة . فلما جاء النذير وصرخ يا معشر قريش أموالكم مع أبى سفيان ، قد تعرض لها محمد ، فالغوث والنجدة . أدركوا عيركم . حاول أمية أن لا يخرج ، فأخرجه أبو جهل ، وأحرجه – ويصور لنا كيف قتل الحديث :

٢٣٠١ – عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ قَالَ : كَاتَبْتُ أُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كِتَابًا بِأَنْ يَحْفَظَنِى فِى صَاغِيَتِى بِمَكَّةَ ، وَأَحْفَظَهُ فِى صَاغِيَتِهِ بِالْمَدِينَةِ – صاغية الرجل كل ما يميل إليه ، ويطلق على الأهل والمال – فَلَمَّا ذَكَرْتُ الرَّحْمَنَ – فى مكاتبتى ، فقلت : من عبد الرحمن – قَالَ : لاَ أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ ، كَاتِبْنِى بِاسْمِكَ الَّذِى كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ . فَكَاتَبْتُهُ عَبْدُ عَمْرٍو ، فَلَمَّا كَانَ فِى يَوْمِ بَدْرٍ خَرَجْتُ إِلَى جَبَلٍ لأُحْرِزَهُ حِينَ نَامَ النَّاسُ – أى لأضعه فى حرز وأحميه – فَأَبْصَرَهُ بِلاَلٌ ، فَخَرَجَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى مَجْلِسٍ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ : لاَ نَجَوْتُ إِنْ نَجَا أُمَيَّةُ . فَخَرَجَ مَعَهُ فَرِيقٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِى آثَارِنَا ، فَلَمَّا خَشِيتُ أَنْ يَلْحَقُونَا خَلَّفْتُ لَهُمُ ابْنَهُ لأَشْغَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَبَوْا حَتَّى يَتْبَعُونَا ، وَكَانَ رَجُلا ثَقِيلا ، فَلَمَّا أَدْرَكُونَا قُلْتُ لَهُ : ابْرُكْ . فَبَرَكَ ، فَأَلْقَيْتُ عَلَيْهِ نَفْسِى لأَمْنَعَهُ ، فَتَخَلَّلُوهُ بِالسُّيُوفِ مِنْ تَحْتِى ، حَتَّى قَتَلُوهُ ، وَأَصَابَ أَحَدُهُمْ رِجْلِى بِسَيْفِهِ ، وَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يُرِينَا ذَلِكَ الأَثَرَ فِى ظَهْرِ قَدَمِهِ .

• أحداث فى غزوة بدر :

- نزول الملائكة

سورة الأنفال أكثرها فى غزوة بدر ، وفيها يقول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ أى تودون فى أنفسكم أن القافلة السهلة وما فيها من أموال هى التى تكون لكم ﴿ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ فيقتل زعماء الكفر وصناديدهم ﴿ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ ﴾ ويهلكهم من جذورهم ﴿ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ ﴾ اختار لكم الحرب والنصر ﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ ﴾ المشركون ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ .

فعند مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ قال : لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ : « اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ » . فَمَازَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ . وَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ ﴾ واختلف المفسرون فى عدد الملائكة فقيل : ألفان ، وقيل : ثلاثة ، وقيل : خمسة . ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ ﴾ وما جعل إمدادكم بالملائكة إلا بشارة لكم

﴿ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾ لا ليضربوا ويقاتلوا ، فقد كان يكفى لضربهم وهزيمتهم ملك واحد ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ لا بالملائكة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) والآية ظاهرة فى أن الملائكة لم تقاتل ، وأكثر العلماء على أنها قاتلت يوم بدر . وفى الأحاديث ما يدل على ذلك ، فقد أخرج عبد بن حميد وابن مردويه عن أبى داود المازنى قال : « بينا أتبع رجلا من المشركين يوم بدر ، فأهويت بسيفى إليه ، فوقع رأسه قبل أن يصل سيفى إليه ، فعرفت أنه قتله غيرى » .

والآيات تميل إلى أنها لم تقاتل ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ ﴾ فقولوا لهم ﴿ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ ﴾ اضربوا رقاب الكافرين ﴿ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ (٢) كل إصبع .

- **منحة النعاس**

والخائف لا ينام ، والمنزعج والمترقب للشر لا ينام ، وإنما ينام الآمن ، خالى البال ، فوهب الله المسلمين الأمن ، والثقة بالنفس وبالنصر ، فغشيهم – أو غشى كثيرًا منهم النعاس ، سقط منهم سيفهم فالتقطوه ، ووقع رمحهم فأمسكوه ، قال تعالى : ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الأنفال ، الآيات ٧- ١٠ .

(٢) سورة الأنفال ، آية : ١٢.

(٣) سورة الأنفال ، آية : ١١.

- **منحة المطر**

وأرض بدر كانت رملية ، ونزول المطر القليل على الرمال يهيئها للمشى ، ويثبت الأقدام عليها فلا تسوخ فى الرمال ، وهذا المطر ييسر للمسلمين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر ، وكونه قد اقتصر على بقعة المسلمين ، دون بقعة المشركين قد قوى ثقة المسلمين فى لطف الله ونصره . قال تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [1].

- **منحة رؤياه ﷺ أن الأعداء قليلون ومنحة رؤية المسلمين ذلك**

رأى صلى الله عليه وسلم فى المنام أن الأعداء قليلو العدد ضعاف العُدد ، وأخبر رسول الله ﷺ أصحابه بذلك ، فكان فى ذلك تثبيت لهم ، وقوة وعزيمة ، ودفع للشجاعة ، وإبعاد للجبن . قال تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا ﴾ [2] . حتى قال ابن مسعود لمن بجواره : أتراهم سبعين ، فقال له جاره : أراهم مائة .

- **منحة تقليل المسلمين فى أعين الكافرين**

قال تعالى : ﴿ وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾ ﴾ [3]. فتقليل المسلمين فى أعين الكافرين

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ١١.

(٢) سورة الأنفال : ٤٣ – ٤٤ .

(٣) سورة الأنفال ، آية : ٤٤.

ليستمر الكافرون فى القتال ، فيأسر المسلمون منهم ويقتلون بخلاف ما لو إذا رأوهم بحقيقتهم أو بكثرة عن حقيقتهم ، مما قد يدفعهم إلى الفرار وإنهاء المعركة قبل الخسائر المادية الكبيرة ، وقد قضى الله أمره ، فقتل من المشركين سبعون ، وأسر منهم سبعون .

• الغنيمة وكيف تقسم ؟

الغنيمة : ما أخذ من الكفار بقتال ، أو بقوة السلاح وإن لم يقاتل ، فما أخذ اختلاسًا وسرقة لا يسمى غنيمة ، وليس له حكمها . ولو دخل الواحد أو الاثنان دار الحرب مغيران بغير إذن الإمام ، فأخذوا شيئًا فليس بغنيمة ، وليس له حكمها على الصحيح ، فإن دخلوا بإذنه كان له حكمها ؛ لأنه لما أذن لهم الإمام فقد التزم نصرتهم .

وحكم الغنيمة التخميس . أربعة أخماسها للغزاة ، وقسمتها عند أبى حنيفة للفارس سهمان ، وللراجل سهم واحد ، سواء قاتل بالفرس أو لم يقاتل ، وسواء كان الفرس مملوكًا له أو مستأجرًا أو مستعارًا . وعند الشافعى ومالك للفارس ثلاثة أسهم ، ومن كان معه فرسان قيل : لا يسهم إلا لواحد ، وقيل : يسهم لهما ، ولا يسهم لثلاثة باتفاق .

والخمس من الغنيمة يخمس . خمسةٌ عند الجمهور لرسول الله ﷺ فى حياته ، ينفق منه على نفسه وعياله ، ويدخر منه مؤونة سنة ، ويصرف الباقى فى المصالح ، وبعد وفاته ﷺ يصير هذا الخمس إلى بيت المال ، ويصرف فى مصالح المسلمين كالثغور والمدارس والمساجد والمستشفيات ، والخمس الثانى لذى القربى ، والمراد بهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب ، ويشترك فيه الغنى والفقير .

٣١٤٠ – عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ : مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ

عفَّانَ ﷺ إلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَعْطَيْتَ بَنِى الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا ، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ – عثمان من بنى عبد شمس ، وجبير بن مطعم من بنى عبد نوفل ، وعبد شمس ونوفل وهاشم والمطلب سواء ، الجميع بنو عبد مناف – فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَىْءٌ وَاحِدٌ » . قَالَ جُبَيْرٌ : وَلَمْ يَقْسِمِ النَّبِىُّ ﷺ لِبَنِى عَبْدِ شَمْسٍ وَلاَ لِبَنِى نَوْفَلٍ . وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : عَبْدُ شَمْسٍ وَهَاشِمٌ وَالْمُطَّلِبُ إِخْوَةٌ لأُمٍّ ، وَأُمُّهُمْ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ ، وَكَانَ نَوْفَلٌ أَخَاهُمْ لأَبِيهِمْ .

والخمس الثالث والرابع والخامس للثلاثة المذكورة فى قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [1].

والفيء : ما حصل عليه المسلمون من أموال الكافرين من غير قتال ومن غير استخدام سلاح ، ومرده إلى رسول الله ﷺ ، بصريح قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [2]. فكانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله ﷺ ، فكان ينفق على أهله منها نفقة سنة ، ثم يجعل ما بقى فى السلاح والخيل والإبل عدة فى سبيل الله .

وقيل : كانت له خاصة ، فآثر بها المهاجرين ، وقسمها عليهم ، على

(١) سورة الأنفال ، آية : ٤١.

(٢) سورة الحشر ،الآيتان : ٦ ، ٧ .

أن يعيدوا إلى الأنصار ما أخذوا من أموالهم - راجع الحديث رقم : ٣٠٩١، ٣٠٩٣ ، ٣٠٩٤ فى إسلام أبى بكر وعمر وعلى رضى الله عنهم أجمعين .

والسلب : هو ما يجده القاتل مع المقتول من مال ونحوه ، ويمتلكه القاتل إذا نفله الإمام أو قال من قتل قتيلا فله سلبه ، فإن لم يفعل ولم يقل دخل السلب فى الغنيمة لقوله ﷺ : « ليس لك من سلب قتيلك إلا ما طابت به نفس إمامك » . وقال الشافعية : السلب للقاتل ، ولو كان صبيًا أو عبدًا ، وإن لم يشترط له الإمام .

والسلب يرفع من الغنيمة قبل تخميسها ، وقبل قسمتها .

التنفيل : إعطاء الإمام أحد الجند زيادة عن حقه مقابل خدمات وإنجازات تشجيعًا له ولغيره ، على أن يأتوا بأثر محمود فى الحرب .

• المبارزة قبل معركة بدر

٣٩٦٥ - عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَقَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادٍ وَفِيهِمْ أُنْزِلَتْ : ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ﴾ (١) قَالَ : هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ وَعُبَيْدَةُ أَوْ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَارِثِ وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَعُتْبَةُ وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ .

ثلاثة مسلمون وثلاثة مشركون . بدأت المعركة يوم بدر بخروج عتبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة وأخيه شيبة بن ربيعة يطلبون المبارزة ، فدعا لهم رسول الله ﷺ شبابًا من الأنصار ، فقال لهم عتبة : لا حاجة لنا فيكم ، إنما أردنا بنى عمنا ، فقال رسول الله ﷺ : قم يا حمزة،

---

(١) سورة الحج ، آية : ١٩.

قم يا على ، قم عبيدة . فأقبل حمزة إلى عتبة ، وقام على إلى شيبة ، وقام عبيدة إلى الوليد ، فقتل حمزة عتبة وقتل على شيبة ، ومالا على الوليد فقتلاه مع عبيدة .

• من أصابه سهم طائش

٢٨٠٩ - عن أَنَس بْن مَالك ﷺ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّع بِنْتَ الْبَرَاء ؛ وَهْىَ أُمّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَت النَّبىَّ ﷺ فَقَالَتْ : يَا نَبِىَّ اللَّه ، أَلاَ تُحَدِّثُنى عَنْ حَارِثَةَ وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ ، فَإِنْ كَانَ فِى الْجَنَّة ، صَبَرْتُ ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْه فى الْبُكَاء . قَالَ : « يَا أُمَّ حَارِثَةَ ، إِنَّهَا جِنَانٌ فِى الْجَنَّة ، وَإِنَّ ابْنَك أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الأَعْلَى » .

٣٩٨٢ - وبلفظ : أُصِيبَ حَارِثَةُ يَوْمَ بَدْرٍ وَهْوَ غُلاَمٌ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ إِلَى النَّبِىِّ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّه ، قَدْ عَرَفْتَ مَنْزِلَةَ حَارِثَةَ مِنِّى ، فَإِنْ يَكُنْ فِى الْجَنَّة أَصْبِرْ وَأَحْتَسِبْ ، وَإِنْ تَكُ الأُخْرَى تَرَى مَا أَصْنَعُ ، فَقَالَ : « وَيْحَك أَوَهَبِلْتِ - أى ثكلت وفقدت أعز ما لديك - أَوَ جَنَّةٌ وَاحِدَةٌ هِىَ ؟ إِنَّهَا جِنَانٌ كَثِيرَةٌ ، وَإِنَّهُ فِى جَنَّة الْفِرْدَوْسِ » .

• المشركون يوم بدر أحلوا قومهم دار الهلاك

٣٩٧٧ - عن ابْنِ عَبَّاسٍ - رضى الله عنهما ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا ﴾ - يفسرها ابن عباس بأنهم كفار قريش ، الذين بدلوا الإيمان بمحمد ﷺ بالكفر به ، وأهلكوا قومهم يوم بدر ، فأدخلوهم النار بعد ما قتلوا - قَالَ : هُمْ وَاللَّه كُفَّارُ قُرَيْشٍ . فى رواية : هُمْ قُرَيْشٌ وَمُحَمَّدٌ ﷺ نِعْمَةُ اللَّه ﴿ وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [1] قَالَ : النَّارَ يَوْمَ بَدْرٍ.

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٢٨ .

- **قال الله للمسلمين : يا أهل بدر . اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة**

٣٩٨٣ - عَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ : بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ وَالزُّبَيْرَ وَكُلُّنَا فَارِسٌ قَالَ : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ » . فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا : الْكِتَابُ . فَقَالَتْ : مَا مَعَنَا كِتَابٌ ؟ فَأَنَخْنَاهَا ، فَالْتَمَسْنَا ، فَلَمْ نَرَ كِتَابًا ، فَقُلْنَا : مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ . فَلَمَّا رَأَتِ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا وَهْىَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِى فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ ؟ » قَالَ حَاطِبٌ : وَاللَّهِ مَا بِى أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِى عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِى وَمَالِى ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « صَدَقَ ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْرًا » . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِى فَلأَضْرِبْ عُنُقَهُ . فَقَالَ : « أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ ؟ » فَقَالَ : « لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » . فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

٣٠٠٧ - وبلفظ : بَعَثَنِى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ بْنَ الأَسْوَدِ قَالَ : « انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً وَمَعَهَا كِتَابٌ ، فَخُذُوهُ مِنْهَا » . فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى الرَّوْضَةِ ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ فَقُلْنَا : أَخْرِجِى الْكِتَابَ . فَقَالَتْ : مَا مَعِى مِنْ

كتَاب . فقُلْنا : لَتُخْرِجنَّ الْكتَابَ أوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ . فَأَخْرَجَتْهُ منْ عقَاصِهَا ، فَأَتَيْنَا بِه رَسُولَ اللَّه ﷺ فَإِذَا فيه منْ حَاطِبِ بْنِ أَبِى بَلْتَعَةَ إِلَى أُنَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ منْ أَهْلِ مكَّةَ ، يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّه ﷺ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : « يَا حَاطِبُ ، مَا هَذَا » ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّه ، لا تَعْجَلْ عَلَىَّ ، إِنِّى كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِى قُرَيْشٍ ، وَلَمْ أَكُنْ منْ أَنْفُسهَا ، وكَانَ مَنْ مَعَكَ منَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ بِمكَّةَ ، يَحْمُونَ بِهَا أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِى ذَلكَ منَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ بِهَا قَرَابَتِى ، وَمَا فَعَلْتُ كُفْرًا وَلاَ ارْتِدَادًا وَلاَ رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ « لَقَدْ صَدَقَكُمْ » . قَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّه دَعْنِى أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ . قَالَ : « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَكُونَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ » .

٤٠٢٢ – عَنْ قَيْسٍ كَانَ عَطَاءُ الْبَدْرِيِّينَ خَمْسَةَ آلاَفٍ خَمْسَةَ آلاَفٍ . وَقَالَ عُمَرُ : لأُفَضِّلَنَّهُمْ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ .

• الرسول ﷺ يلقى بجثث المشركين فى بئر

٣٠٦٥ – عنْ أَبِى طَلْحَةَ – رضى الله عنهما – عَنِ النَّبِىِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا ظَهر عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ – وهى الساحة الواسعة – ثَلاَثَ لَيَالٍ – ليظهر تأثير الغلبة وتنفيذ الأحكام ، وإراحة الدواب والأنفس .

٣٩٧٦ – وبلفظ : أنَّ نبىَّ اللَّه ﷺ أمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رجُلا منْ صَنَاديد قُرَيْشٍ فَقُذِفُوا فِى طَوِىٍّ منْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ – وأما باقى السبعين من القتلى فدفنوا فى أماكن أخرى ، والطوى البئر الذى لم يبن حوله ، يشبه الحفرة العميقة – وكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ ثَلاثَ لَيَالٍ ، فَلَمَّا كَانَ بِبدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالثَ ، أَمَرَ براحلَته فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا ، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا : مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلاَ لِبَعْضِ

حَاجَتِهِ ، **حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ** – وهو البئر الذى لم يبن حوله – **فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ : « يَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ ، وَيَا فُلَانُ بْنَ فُلَانٍ** – نادى عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام ، ولم ينـاد أمية بن خلف لأنه لم يكن فى القليب ؛ لأنه كان ضخمًا فانتفخ فألقوا عليه الحجارة والتراب وهو فى مكان موته ، فدفنوه – **أَيَسُرُّكُمْ أَنَّكُمْ أَطَعْتُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا ، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا » . قَالَ : فَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا أَرْوَاحَ لَهَا ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ » . قَالَ قَتَادَةُ : أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا .**

يرى قتادة أن الموتى لا يسمعون ، ولكن هؤلاء بالذات وفـى هـذه اللحظة بالذات ولرسول الله ﷺ بالذات أحياهم الله حتـى سـمعوا . وفـى المسألة خلاف كبير .

• أسرى المشركين فى معركة بدر

عند الترمذى عن على ﷺ قال : جاء جبريل ﷺ إلى النبى ﷺ يـوم بدر ، فقال : « خير أصحابك فى الأسرى ، إن شاءوا القتـل وإن شـاءوا الفداء – قالوا : الفداء » .

وعند أحمد عنْ عبْد اللَّهِ قال : لمّا كانَ يوْمُ بدْرٍ قال رسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم : « ما تَقُولُونَ فِي هَؤُلَاءِ الأَسْرَى » ؟ قال فقالَ أَبُو بكْرٍ : يا رَسُولَ اللَّهِ قَوْمُكَ وأَهْلُكَ اسْتَبْقِهِمْ واسْتَأْنِ بِهِمْ لَعَلَّ اللَّه أَنْ يَتُوبَ عليْهِمْ . قال وَقَالَ عُمَرُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْرَجُوكَ وَكَذَّبُوكَ قَرِّبْهُمْ فاضْرِبْ أعْنَاقَهُمْ . قَالَ وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ انْظُرْ وادِيًا كَثِيرَ الْحَطَبِ فَأَدْخِلْهُمْ فِيهِ ثُمَّ أَضْرِمْ عَلَيْهِمْ نَارًا . قَالَ فَقَالَ الْعَبَّاسُ – وهو يسمع ما يقول

– قَطَعْتَ رَحِمَكَ . قَالَ فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ شَيْئًا . قَالَ فَقَالَ نَاسٌ : يَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي بَكْرٍ . وَقَالَ نَاسٌ : يَأْخُذُ بِقَوْلِ عُمَرَ . وَقَالَ نَاسٌ : يَأْخُذُ بِقَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ . قَالَ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : « إِنَّ اللَّهَ لَيُلِينُ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَلْيَنَ مِنَ اللَّبَنِ وَإِنَّ اللَّهَ لَيَشُدُّ قُلُوبَ رِجَالٍ فِيهِ حَتَّى تَكُونَ أَشَدَّ مِنَ الْحِجَارَةِ وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام قَالَ : ﴿ **فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (١) وَمَثَلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ كَمَثَلِ عِيسَى قَالَ : ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ** ﴾ (٢) وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ نُوحٍ قَالَ : ﴿ **رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا** ﴾ (٣) وَإِنَّ مَثَلَكَ يَا عُمَرُ كَمَثَلِ مُوسَى قَالَ رَبِّ ﴿ **وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ** ﴾ (٤) أَنْتُمْ – أيها الناس – عَالَةٌ فَلاَ يَنْفَلِتَنَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلاَّ بِفِدَاءٍ أَوْ ضَرْبَةِ عُنُقٍ » .

قال عمر رضي الله عنه : فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، وأخذ منهم الفداء ، ونزل قول الله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ**

---

(١) سورة إبراهيم ، آية : ٣٦.

(٢) سورة المائدة ، آية : ١١٨.

(٣) سورة نوح ، آية : ٢٦.

(٤) سورة يونس ، آية : ٨٨.

عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (١) . أى ما فعلتم أمر عظيم فى نفسه ، مستوجب للعذاب العظيم ، لكن الذى تسبب فى العفو عنه أنى سأحله لكم قريبًا .

وعند مسلم عن عمر ﷺ : ... فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِى مِنْ أَىِّ شَيْءٍ تَبْكِى أَنْتَ وَصَاحِبُكَ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « أَبْكِى لِلَّذِى عَرَضَ عَلَىَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ لَقَدْ عُرِضَ عَلَىَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ » . شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِىِّ اللَّهِ ﷺ .

وروى أن عمر ﷺ لما ولى ربط الأسرى شد وثاق العباس ، فسمعه رسول الله ﷺ يئن فلم يأخذه النوم ، فبلغ الأنصار ، فأطلقوا العباس ، وحلوا وثاقه ، ثم سألوا رسول الله ﷺ أن يتركوا له الفداء .

٤٠١٨ - وعن أَنَس بْن مَالِك ﷺ أَنَّ رِجَالا مِنَ الأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا : ائْذَنْ لَنَا ، فَلْنَتْرُكْ لابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ - جدة العباس أم عبد المطلب أنصارية من بنى الخزرج - **قَالَ : « وَاللَّهِ لاَ تَذَرُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا »** أى لا تتركون من الفداء شيئًا .

وعند أحمد قَالَ لِلْعَبَّاسِ : « يَا عَبَّاسُ افْدِ نَفْسَكَ ، وَابْنَ أَخِيكَ عَقِيلَ بْنَ أَبِى طَالِبٍ وَنَوْفَلَ بْنَ الْحَارِثِ ، وَحَلِيفَكَ عُتْبَةَ بْنَ جَحْدَمٍ » . أَحَدُ بَنِى الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ قَالَ فَأَبَى ، وَقَالَ : إِنِّى قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا قَبْلَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا اسْتَكْرَهُونِى . قَالَ : « اللَّهُ أَعْلَمُ بِشَأْنِكَ إِنْ يَكُ مَا تَدَّعِى حَقًّا فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ ، وَأَمَّا ظَاهِرُ أَمْرِكَ فَقَدْ كَانَ عَلَيْنَا فَافْدِ نَفْسَكَ » . وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ عِشْرِينَ أُوقِيَّةَ ذَهَبٍ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ احْسِبْهَا لِى مِنْ فِدَاىَ .

---

(١) سورة الأنفال ، الآيتان : ٦٧ ، ٦٨.

قَالَ : « لاَ ذَاكَ شَىْءٌ أَعْطَانَاهُ اللَّهُ مِنْكَ » . قَالَ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِى مَالٌ . قَالَ : « فَأَيْنَ الْمَالُ الَّذِى وَضَعْتَهُ بِمَكَّةَ حَيْثُ خَرَجْتَ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ وَلَيْسَ مَعَكُمَا أَحَدٌ غَيْرَكُمَا - فَقُلْتَ : إِنْ أُصِبْتُ فِى سَفَرِى هَذَا فَلِلْفَضْلِ كَذَا وَلِقُثَمَ كَذَا وَلِعَبْدِ اللَّهِ كَذَا » . قَالَ فَوَالَّذِى بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عَلِمَ بِهَذَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرِى وَغَيْرُهَا ، وَإِنِّى لأَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ .

وكان فداء كل واحد من الأسرى أربعين أوقية ذهبًا ، فجعل على العباس مائة أوقية ، وعلى عقيل ثمانين ، فقال له العباس : أللقرابة صنعت هذا ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ ﴾ (١). فقال العباس : وددت لو كنت أخذت منى أضعافها .

وقد ثبت أن النبى ﷺ منَّ على بعض الأسارى كالعاص بن الربيع ، وسهيل بن بيضاء ، وهذا الحديث يجيز المن

٣١٣٩ - عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ فِى أُسَارَى بَدْرٍ : « لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِىٍّ حَيًّا ، ثُمَّ كَلَّمَنِى فِى هَؤُلاَءِ النَّتْنَى ، لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ » . بدون فداء فأخبر صلى الله عليه وسلم عن شيء لو وقع لفعله ، ولا يكون مثل ذلك إلا فيما هو جائز . ومعنى هذا أن الغنائم لا يستقر ملك القائمين عليها إلا بعد القسمة ، وبه قال المالكية والحنفية ، وادعى الآخرون وهم الشافعية أن النبى ﷺ كان يستطيب أنفس الغانمين .

واستدل به على أن النبى ﷺ كان يمن على الأسارى من نفس

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٧٠ .

الغنيمة ، وتارة من الخمس ، فدل على أنه كان لــه أن ينفــل مــن رأس الغنيمة .

وخصَّ رسول الله ﷺ المطعم بن عدى ؛ لأنه صلى الله عليه وســلم لما رجع من الطائف دخل فى جوار المطعم ، فأمر أبناءه الأربعة ، فلبسوا السلاح ، ووقف كل واحد منهم عند ركن الكعبة لحماية محمــد ﷺ حــين يطوف ، فجاء وطاف وزعماء قريش مكبوتون ، يقولــون : أنــت الــذى لا تخفر ذمتك .

ثم إن المطعم كان من أشد المنتصرين لبنى هاشم وبنى عبد المطلب حين حوصروا فى الشعب ، وكان أحد الرجــال الــذين مزقــوا صــحيفة المقاطعة ، والقوها خارج الكعبة . مات المطعم بن عدى بعد الهجرة وقبل بدر ، وله بضع وتسعون سنة .

- **إسلام عبد الله بن سلام** رضي الله عنه

كان حبر يهود بنى قينقاع وأعلمهم ، وكان اسمه الحصين ، فلما أسلم سماه رسول الله ﷺ عبد الله ، روى عنه أنه قال : لما سمعت رسول الله ﷺ بمكة عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نترقب له ، فكنت مسرًا لذلك ، صامتًا عليه ، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة ، فلمــا نــزل بقبــاء فــى بنى عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا فى رأس نخلة لى أعمل فيها ، وعمتى خالدة بنت الحارث تحتى جالسة ، فلما سمعت الخبــر بقدوم النبى ﷺ كبرت ، فقالت لى عمتى حين سمعت تكبيرى : خيبك الله . والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت . قال : فقلت لها : أى عمة . هو والله أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه ، بعث بما بعــث به ، قال : فقالت : يا ابن أخى . أهو النبى الذى كنا نخبر به أنه يبعث مع نفس الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم . قالت : فذاك إذن ، قال : ثم خرجت

إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ، ثم رجعت إلى أهلى ، فأمرتهم فأسلموا .
قال : وكتمت إسلامى من يهود . أما كيف أسلم ، فيحدثنا فى الحديث :

٣٩٣٨ - عن أنس ﷺ أَنَّ عَبْدَ اللَّه بْنَ سَلاَمٍ بَلَغَهُ مَقْدَمُ ﷺ الْمَدِينَةَ ، فَأَتَاهُ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ ، فَقَالَ : إِنِّى سَائِلُكَ عَنْ ثَلاَثٍ لاَ يَعْلَمُهُنَّ إِلاَّ نَبِىٌّ : مَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ؟ وَمَا بَالُ الْوَلَدِ يَنْزِعُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ ؟ قَالَ : « أَخْبَرَنِى بِهِ جِبْرِيلُ آنِفًا » . قَالَ ابْنُ سَلاَمٍ : ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ . قَالَ : « أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُهُمْ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ ، وَأَمَّا الْوَلَدُ ، فَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَتِ الْوَلَدَ » . قَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ ، فَاسْأَلْهُمْ عَنِّى قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلاَمِى ، فَجَاءَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَىُّ رَجُلٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ فِيكُمْ » . قَالُوا : خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا ، وَأَفْضَلُنَا وَابْنُ أَفْضَلِنَا . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ » . قَالُوا : أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ . فَأَعَادَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالُوا : مِثْلَ ذَلِكَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . قَالُوا : شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا . وَتَنَقَّصُوهُ . قَالَ : هَذَا كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ .

ومات سنة ثلاث وأربعين .

٣٨١٢ - عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِى وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ قَالَ : مَا سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ لأَحَدٍ يَمْشِى عَلَى الأَرْضِ : إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . إِلاَّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ قَالَ : وَفِيهِ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِى

إِسْرَآءِيلَ ﴾ (١) الآيَةَ .

٣٨١٣ – وعَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا فِى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَدخَلَ رَجُلٌ عَلَى وَجْهِهِ أَثَرُ الْخُشُوعِ ، فَقَالُوا : هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ تَجَوَّزَ فِيهِمَا ثُمَّ خَرَجَ ، وتَبِعْتُهُ فَقُلْتُ : إِنَّكَ حِينَ دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ قَالُوا هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . قَالَ : وَاللَّهِ مَا يَنْبَغِى لأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ مَا لاَ يَعْلَمُ وَسَأُحَدِّثُكَ لِمَ ذَاكَ ؟ رَأَيْتُ رُؤْيَا عَلَى عَهْدِ النَّبِىِّ ﷺ فَقَصَصْتُهَا عَلَيْهِ ، ورَأَيْتُ كَأَنِّى فِى رَوْضَةٍ – ذَكَرَ مِنْ سَعَتِهَا وَخُضْرَتِهَا – وَسْطَهَا عَمُودٌ مِنْ حَدِيدٍ ، أَسْفَلُهُ فِى الأَرْضِ وَأَعْلاَهُ فِى السَّمَاءِ ، فِى أَعْلاَهُ عُرْوَةٌ فَقِيلَ لَهُ ارْقَهْ – أى قيل لعبد الله : ارتفع وأمسك بالعروة – قُلْتُ : لاَ أَسْتَطِيعُ . فَأَتَانِى مِنْصَفٌ – خادم – فَرَفَعَ ثِيَابِى مِنْ خَلْفِى ، فَرَقِيتُ حَتَّى كُنْتُ فِى أَعْلاَهَا ، فَأَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ ، فَقِيلَ لَهُ : اسْتَمْسِكْ . فَاسْتَيْقَظْتُ وَإِنَّهَا لَفِى يَدِى ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « تِلْكَ الرَّوْضَةُ الإِسْلاَمُ ، وَذَلِكَ الْعَمُودُ عَمُودُ الإِسْلاَمِ ، وَتِلْكَ الْعُرْوَةُ عُرْوَةُ الْوُثْقَى ، فَأَنْتَ عَلَى الإِسْلاَمِ حَتَّى تَمُوتَ » . وَذَاكَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ .

٧٠١٠ – وبلفظ : كُنْتُ فِى حَلْقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ فَمَرَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ فَقَالُوا : هَذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا . قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ مَا كَانَ يَنْبَغِى لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ، إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّمَا عَمُودٌ وُضِعَ فِى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، فَنُصِبَ فِيهَا وَفِى رَأْسِهَا عُرْوَةٌ وَفِى أَسْفَلِهَا مِنْصَفٌ – وَالْمِنْصَفُ الْوَصِيفُ – فَقِيلَ : ارْقَهْ . فَرَقِيتُ حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ . فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ

(١) سورة الأحقاف ، آية : ١٠.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « يَمُوتُ عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى » .

٧٠١٤ – وبلفظ سبق ، غير أن فيه : قُلْتُ : لاَ أَسْتَطِيعُ . فَأَتَانِى وَصِيفٌ ، فَرَفَعَ ثِيَابِى ... فَانْتَبَهْتُ وَأَنَا مُسْتَمْسِكٌ بِهَا ...

٣٨١٤ – وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ : أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلاَمٍ ﷺ فَقَالَ : أَلاَ تَجِىءُ فَأُطْعِمَكَ سَوِيقًا وَتَمْرًا ، وَتَدْخُلَ فِى بَيْتٍ – دخل فيه رسول الله ﷺ ؟ – ثُمَّ قَالَ : إِنَّكَ بِأَرْضٍ الرِّبَا بِهَا فَاشٍ – منتشر – إِذَا كَانَ لَكَ عَلَى رَجُلٍ حَقٌّ فَأَهْدَى إِلَيْكَ حِمْلَ تِبْنٍ ، أَوْ حِمْلَ شَعِيرٍ أَوْ حِمْلَ قَتٍّ – يقصد علف الدواب – فَلاَ تَأْخُذْهُ ، فَإِنَّهُ رِبًا .

هذا رأى ابن سلام وورعه ، وإلا فالفقهاء لا يرونه ربا فقد اقترض رسول الله ﷺ شعيرًا من اليهود ، وأموالهم ملوثة بالربا .

٧٣٤٢ – وبلفظ : فَقَالَ لِى : انْطَلِقْ إِلَى الْمَنْزِلِ ، فَأَسْقِيَكَ فِى قَدَحٍ شَرِبَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَتُصَلِّى فِى مَسْجِدٍ صَلَّى فِيهِ النَّبِىُّ ﷺ . فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ ، فَسَقَانِى سَوِيقًا ، وَأَطْعَمَنِى تَمْرًا ، وَصَلَّيْتُ فِى مَسْجِدِهِ .

غزوة بنى سُلَيم بالكُدْر

أصبح الطابع لمنطقة ما حول المدينة ، مَن المسيطر ؟ ولمن تخضع قبائلها ؟ ومن تسارع فى إرضائه ؟

كان فراغ النبى ﷺ من بدر وأذيالها عقب شهر رمضان أو فى أوائل شهر شوال ، فلما قدم المدينة جاءه جماعة من المسلمين من بنى سليم ، يستعينون به على قومهم ، ويطلبون منه غزوهم ، فلم يقم بالمدينة سوى سبع ليال ، ثم خرج بجمع من سليم ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فوصل ماء لهم يعرف بالكدر ، بينه وبين المدينة نحو مائة ميل ، فلما أتاه وجد الحى قد خلفوه ، واستاق بعض النعم ، ولم يلق كيدًا ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وفى هذه الفترة تم فداء أسرى بدر من قريش.

غزوة السويق

لما رجع أبو سفيان بالقافلة إلى مكة ، ورجعت فلول المنهزمين من بدر ، نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء من جنابة حتى يغزو محمدًا ﷺ وفى الحجة ، وبعد الموسم خرج أبو سفيان من مكة فى مائتى راكب من قريش ليبر بيمينه ، حتى وصل إلى جبل ، يقال له : ثَيْب ، يبعد عن المدينة اثنى عشر ميلا ، ثم خرج حتى أتى بنى النضير فى جنح الليل ، فأتى حيى بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فخاف وأبى أن يفتح له ، فانصرف عنه إلى سلام بن مشكم – وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك، وصاحب كنزهم ، وأمين المال الذى يجمعونه ويدخرونه للطوارئ ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، وأكرم ضيافته ، وأعلمه بخبر المسلمين وسرهم، واتفقا على التعاون ضد محمد ﷺ والمسلمين . ثم خرج فأتى أصحابه ،

فبعث منهم رجالا إلى المدينة ليحرقوا بعض نخيلها وأسوارها ، فحرقوا ليلا ، وقتلوا رجلا من الأنصار وحليفًا له ، ثم انصرفوا راجعين ، وعلم بهم رسول الله ﷺ والمسلمون ، فخرج الرسول ﷺ فى طلبهم ، فكان أبو سفيان قد أسرع بهم وفاته ، وقد رأى الصحابة فى الموقع زنابيل من السويق كثيرة ، تركوها لتخففوا للهرب والنجاة ، فاستولى عليها المسلمون، وسميت غزوة السويق . وعاد الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة .د

غزوة ذى أَمَر

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة السويق أقام بالمدينة بقية ذى الحجة ، ثم غزا نجدًا ، يريد غطفان ، وهى غزوة ذى أمر ، حين بلغه أن محارب اجتمعوا هم وغيرهم لمحاربته ، فغزا ديارهم ، فهرب القوم إلى رءوس الجبال ، وعسكر المسلمون فى ديارهم شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجعوا إلى المدينة .

غزوة بنو قينقاع

هم طائفة من طوائف اليهود الأربع الذين يعيشون فى قرى حول المدينة ، ويحالفون أهلها ، وكان بنو قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ ، وحاربوه فيما بين بدر وأحد .

وسبب حربهم أن امرأة من العرب قدمت بمتاع لها من إبل وغنم وغيرهما ، لتبيعه بسوق قينقاع ، وجلست إلى صائغ . فجعلوا يريدونها أن تكشف عن وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ اليهودى إلى طرف ثوبها ، فعقده إلى ظهرها برفق وخلسة حتى لا تشعر ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا عليها ، فصاحت ، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ،

فتجمع اليهود على المسلم فقتلوه ، واشتعلت الفتنة بين المسلمين واليهود ، وجمع الرسول ﷺ اليهود - يهود بنى قينقاع - بسوق بنى قينقاع ، ثم قال لهم : يا معشر يهود . احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم . قالوا : يا محمد . إنك تظن أنّا قومك ، لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتعلمن أنّا نحن الناس .

فنزل قول الله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ۝ ﴾ (١).

وفى شوال حاصرهم رسول الله ﷺ خمسة عشر يومًا ، فنزلوا على حكمه ، فأراد أن يقتلهم ، فاستوهبهم منه عبد الله بن أبى ابن سلول ، وكانوا حلفاءه ، حلفاء الخزرج ، قال : يا محمد . أحسن فى موالى ، فأبطأ عليه رسول الله ﷺ الجواب ، فقال : يا محمد . أحسن فى موالى ، فأعرض عنه صلى الله عليه وسلم ، فأدخل يده فى درع رسول الله ﷺ - كأنه يهدده بالقوة - فقال له رسول الله ﷺ: أرسلنى. وغضب رسول الله ﷺ وتغير وجهه ، ثم قال : ويحك . أرسلنى . قال : لا . والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى ، أربعمائة حاسر غير مسلح من الصبية والشيوخ ، وثلاثمائة دارع مسلح ، قد دافعوا عنى ، وحمونى من أعدائى ، تحصدهم فى غداة واحدة ؟ إننى والله أخشى الدوائر . فقال رسول الله ﷺ : هم لك .

(١) سورة آل عمران ، الآيتان : ١٢ ، ١٣.

ومشى عبادة بن الصامت ﷺ إلى رسول الله ﷺ - وكان أحد بنى عوف - فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين بنى قينقاع مثل ما بين عبد الله بن أبى ابن سلول وبينهم ، ولكننا نتبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم، ونتولى الله ورسوله والمؤمنين ، فنزل قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾ [1] الآية .

قبل رسول الله ﷺ شفاعة عبد الله بن أبى فى بنى قينقاع ، فأعفاهم من القتل على أن يخرجوا من المدينة ولهم النساء والذرية ، وللمسلمين الأموال ، وأسند الرسول ﷺ الإشراف على جلائهم إلى عبادة بن الصامت، وأمهلهم ثلاثة أيام . فذهبوا إلى أذرعات على حدود الشام.

مخيريق

كان حبرًا من أحبار اليهود ، عالمًا بما فى التوراة ، يعرف الرسول ﷺ بصفته التى علمها بقراءته ، لكنه غلب عليه إلف دينه ، وتقاليد قومه ، وقيل : أسلم ولم يعلن إسلامه لقومه ، حتى كان يوم أحد ، وكان يوم السبت ، فقال : يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت . قال : لا سبت لكم . ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ وأصحابه بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قتلت هذا اليوم فأموالى لمحمد ﷺ يصنع فيها ما أراه الله . وكان غنيًا ، كثير الأموال والنخيل ، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل ، فكان رسول الله ﷺ يقول : مخيريق خير يهود ، وقبض رسول الله ﷺ أمواله ، وجعلها للصدقات ، وكانت عامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها .

---

(١) سورة المائدة ، آية : ٥١.

غزوة أحد

أحد جبل يشرف على المدينة ، يكاد يحيط بها ، فهو من الحصـــون الطبيعية لحمايتها ، وفى الحديث :

٤٠٨٣ – عن أَنَسٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « هَــذَا جَبَــلٌ يُحِبُّنَــا وَنُحِبُّهُ » .

وفى سبب هذه الغزوة يقول أهل السير :

لما أصيب يوم بدر زعماء قريش ، ورجع أبو سفيان بن حرب بالعير مشى عبد الله بن ربيعة وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، مشوا إلى أبى سفيان ، وكلموه أن يطلب من أصحاب المال فى قافلته أن يعينوا بهذا المال على حرب محمد ﷺ ليدركوا ثأرهم ، فاستجابوا ، فأخذ يعد عدة الحرب ، ويشترى أحدث وأمضى سلاح ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾** ﴾ (١).

وقام رسل قريش بتحزيب ما حولهم من قبائل كنانة وأهل تهامـــة ، وأغروا الشعراء بالمال والوعد الجليل ليثيروا النفوس إلى الانتقام والثأر ، وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى شاعرًا . أسر يوم بدر وشكا إلى رسول الله ﷺ فقره وكثرة عياله ، فمنّ عليه رسول الله ﷺ ، وأطلق سراحه بغير فداء ، أغراه صفوان بن أمية ، وقال له : لك الله على إن رجعنـــا أن

---

(١) سورة الأنفال ، آية : ٣٦.

أغنيك ، وإن أصبنا أن أجعل بناتك مع بناتى فى عسرهن ويسرهن ، فخرج أبو عزة يسير فى تهامه ، ويدعو بنى كنانة ، ويثير النفوس لحرب محمد ﷺ .

ودعا جبير بن مطعم غلامًا له حبشيًا ، يقال له وحشى ، يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلما يخطئ بها ، فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد فأنت حر ، وكان حمزة قد قتل عم جبير ، طعيمة بن عدى فى بدر .

سنة كاملة وبضعة أيام تبذل قريش جهدها ، ليلها ونهارها ، تعد للحرب ، مالها ورجالها ، يقودها أبو سفيان بن حرب ، فلما جاء الموعد خرج بثلاثة آلاف مقاتل ، ومعهم مائتا فرس ، وأخرجوا مع ساداتهم نساءهم تشجعهم بالأناشيد ، وتحمسهم بالأغانى ، وتثبت أقدامهم حمية وأنفة ودفاعًا ، فخرج أبو سفيان بهند بنت عتبة ، وخرج عكرمة بن أبى جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببرزة بنت مسعود الثقفية ؛ وهى أم عبد الله بن صفوان بن أمية ، وخرج عمرو بن العاص بريطة بنت منبه بن الحجاج ؛ وهى أم عبد الله بن عمرو ، وخرجت خناس بنت مالك مع ابنها عزير بن عمير ؛ وهى أم مصعب بن عمير ، فشجعت ابنها عزير بن عمير على قتل ابنها مصعب بن عمير .

ورأى رسول الله ﷺ رؤيا ليلة الجمعة ، فلما أصبح قال : رأيت البارحة فى منامى بقرًا تذبح ، والله خير وأبقى ، ورأيت سيفى انقصم – أو قال : به فلول فكرهته ، وهما مصيبتان ، ورأيت أنى فى درع حصينة . قالوا : ما أولتها ؟ قال : أولت البقر بقرًا يكون فينا ، ناسًا من أصحابى

يقتلون ، وأما الثلم فى ذباب سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل ، وأولت الدرع الحصينة المدينة ، فامكثوا ، فإن دخل القوم الأزفة قاتلناهم ، ورموا من فوق البيوت ، فقال القوم الذين لم يحضروا غزوة بدر : يا رسول الله كنا نتمنى هذا اليوم ، وأبى كثير من الناس إلا الخروج ، وقال عبد الله بن أبى : يا رسول الله . أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فإن دخلوا قاتلهم الرجال ، ورماهم النساء والصبيان ، فلما صلى الجمعة وانصرف دعا باللأمة ولباس الحرب ، ثم أذن فى الناس بالخروج . فندم ذووا الرأى منهم ، فقالوا: يا رسول الله . امكث كما أمرتنا . فقال : ما ينبغى لنبى لبس لأمة الحرب أن يرجع حتى يقاتل . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

نزل فخرج بهم وهم ألف رجل ، ليس معهم فرس ، حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد قال عبد الله بن أبى ابن سلول لمن حوله من المنافقين : أطاعهم وعصانى . ما ندرى علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس ؟ هيا نرجع . فرجع بثلث الناس .

٤٠٥ – عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ﷺ قَالَ : لَمَّا خَرَجَ النَّبِىُّ ﷺ إِلَى أُحُدٍ ، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ ، وَكَانَ أَصْحَابُ النبى ﷺ فِرْقَتَيْنِ ، فِرْقَةٌ تَقُولُ : نُقَاتِلُهُمْ . وَفِرْقَةٌ تَقُولُ : لاَ نُقَاتِلُهُمْ . فَنَزَلَتْ ﴿ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ ﴾ (١) وَقَالَ : « إِنَّهَا طَيْبَةُ تَنْفِى الذُّنُوبَ كَمَا تَنْفِى النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ » .

المعركة : مضى رسول الله ﷺ حتى نزل الشعب من أحد ، فى طرف الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وظهر عسكره إلى أحد . وجعل الرماة خمسين على الجبل ، وأمَّر عليهم عبد الله بن جبير ، وقال لهم :

---

(١) سورة النساء ، آية : ٨٨.

ادفعوا الخيل عنا بالنبل ، لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ، فاثبتوا مكانكم ، لا نؤتى من قبلكم . وصف الناس ، ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير .

وعبأت قريش ثلاثة آلاف ، ومعها مائتان فرس ، على ميمنتها خالد ابن الوليد ، وعلى ميسرتها عكرمة بن أبى جهل ، والتقى الناس بالناس ، وقامت النساء بضرب الدفوف خلف الرجال ، تقودهن وتنشد لهن هند بنت عتبة تحرّض الرجال وتقول :

إن تقبلوا نعانق * ونفرش النمارق**

أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق**

أى إن تتقدموا ولا تتخاذلوا وتنتصروا ترجعوا إلينا بالأحضان والمعانقة ، وإن تفروا وتجبنوا وتهزموا نصبح سبايا للأعداء ، ونفارقكم فراق غير محبات لكم ، غير راغبات فيكم .

وقاتل حمزة بن عبد المطلب فقتل أرطاة بن عبد شرحبيل ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ، ثم مر به سباع بن عبد العزى ، فبارزه حمزة فقتله ، وتربص له وحشى ، واستتر بشجرة حتى دنا منه ، فرماه بحربته فقتله . ويحدثنا الحديث عن ملابسات قتل وحشى لحمزة ، فيقول :

٤٠٧٢ - **عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِىِّ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَدِىِّ بْنِ الْخِيَارِ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا حِمْصَ قَالَ لِى عُبَيْدُ اللَّهِ : هَلْ لَكَ فِى وَحْشِىٍّ نَسْأَلُهُ عَنْ قَتْلِ حَمْزَةَ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . وَكَانَ وَحْشِىٌّ يَسْكُنُ حِمْصَ ، فَسَأَلْنَا عَنْهُ ، فَقِيلَ لَنَا : هُوَ ذَاكَ فِى ظِلِّ قَصْرِهِ ، كَأَنَّهُ حَمِيتٌ -** كأنه زق خمر كبير ، وفى رواية : فقال لنا رجل : إنه غلب عليه الخمر ، فإن تجداه صاحيًا تجداه عربيًا يحدثكما بما شئتما ، وإن تجداه غير ذلك

فانصرفا عنه- **قَالَ : فَجِئنَا حَتَّى وَقَفنَا عَلَيْــه بِيَســيرٍ** - وفـى روايــة : فوجدناه رجلا سمينًا محمرة عيناه - **فَسَــلَّمْنَا ، فَـردَّ السَّــلاَمَ ، قَــالَ : وَعُبَيْدُ اللَّه مُعْتَجِرٌ بِعِمَامَتِه** - قد لف عمامته على رأسه ، ولم يلفها علـى حنكه - **مَا يَرَى وَحْشِىٌّ إلاَّ عَيْنَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّه : يَا وَحْشِىُّ ، أَتَعْرِفُنِى ؟ قَالَ : فَنَظَرَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ إلاَّ أَنِّى أَعْلَمُ أَنَّ عدىَّ بْـنَ الْخِيَارِ تَزَوَّجَ امْرَأَةً يُقَالُ لَهَا أُمُّ قِتَالٍ بِنْتُ أَبِى الْعِيصِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلامًــا بِمَكَّةَ ، فَكُنْتُ أَسْتَرْضِعُ لَهُ** -أطلب له من يرضعه - **فَحَمَلْتُ ذَلِكَ الْغُلاَمَ مَعَ أُمِّه ، فَنَاوَلْتُهَا إِيَّاهُ ، فَلَكَأَنِّى نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْكَ** - ابن العدى بــن الخيــار أنت ؟ قال : نعم . قال : والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك المرضعة السعدية بذى طوى ، فإنى ناولتكها وهى على بعيرها ، فأخذتك ، فلمعت لى قدميك حين رفعتك فما هو إلا أن وقفت على معرفتها - **قَالَ : فَكَشَفَ عُبَيْدُ اللَّــه عَنْ وَجْهِه ، ثُمَّ قَالَ : أَلاَ تُخْبِرُنَا بِقَتْلِ حَمْزَةَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، إِنَّ حَمْزَةَ قَتَـلَ طُعَيْمَةَ بْنَ عَدِىِّ بْنِ الْخِيَارِ بِبَدْرٍ ، فَقَالَ لِى مَوْلاَىَ جُبَيْرُ بْــنُ مُطْعِـمٍ : إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمِّى فَأَنْتَ حُرٌّ ، قَالَ : فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَــامَ عَيْنَــيْنِ** - **وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ** - **خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلَى الْقِتَالِ ، فَلَمَّا اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ** - ابن عبد العزى - **فَقَــالَ : هَـلْ مِـنْ مُبَارِزٍ ؟** - يهدد الناس بسيفه - **قَالَ : فَخَرَجَ إِلَيْه** - إليه رجل كأنه جمـل أورق ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : حمزة . قلت فى نفسى : هذا حـاجتى ، فخرج إليه - **حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب ، فَقَالَ : يَا سِبَاعُ يَا ابْــنَ أُمِّ أَنْمَـارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ** - كانت أمه مولاة تختن النساء ، والبظور قطع اللحم التـى تقطع من فرج المرأة عند الختان - **أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ ؟ قَالَ : ثُمَّ شَدَّ عَلَيْه فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ** - أى فكان سباع عرمًا ماضيًا - **قَالَ** - **وَكَمَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صَخْرَةٍ ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّى رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِى ، فَأَضَعُهَا فِى ثُنَّتِــه** -

أى عانته - **حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيْهِ - قَالَ - فَكَانَ ذَاكَ الْعَهْدَ بِـهِ ، فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ** - حرًّا عتيقًا - **حَتَّى فَشَا فِيهَا الإِسْلاَمُ** - وفتحتت - **ثُمَّ خَرَجْتُ إِلَى الطَّائِفِ ، فَأَرْسَلُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولا** - أى وفدًا من رؤسائهم ، ليعلنوا إسلامهم ، قيـل : كـانوا سـبعة عشرة - **فَقِيلَ لِى : إِنَّهُ لاَ يَهِيجُ الرُّسُلَ** - أى لا يزعجهم ولا يـؤذيهم - **قَالَ - فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا رَآنِـى قَـالَ : « آنْتَ وَحْشِىٌّ » ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : « أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ » ؟ قُلْتُ : قَـدْ كَانَ مِنَ الأَمْرِ مَا بَلَغَكَ** - فأنشأت أحدثه كما حـدثتكما - **قَـالَ : « فَهَـلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّى » ؟ قَالَ : فَخَرَجْـتُ** - فكنت أتقى أن يرانى - فما رآنى حتى مات - **فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ قُلْتُ : لأَخْرُجَنَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّى أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ - قَالَ - فَخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ - قَالَ - فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِى ثَلْمَةِ جِدَارٍ** - فى شق جدار وفى فتحة - **كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَـائِرُ الـرَّأْسِ - قَـالَ - فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِى ، فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ - قَالَ - وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ . قَالَ : قَـالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْفَضْلِ : فَأَخْبَرَنِى سُلَيْمَانُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّـهِ بْـنَ عُمَرَ يَقُولُ : فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ : وَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، قَتَلَهُ الْعَبْدُ الأَسْوَدُ** . قال وحشى : فربك أعلم أينا قتله ؟ فإن أك قتلته فقد قتلت خيـر الناس وشر الناس .

• عودة إلى أحداث معركة أحد

وبعد انتهاء المعركة قامت هند بنت عتبة ومعها نسوة يمثلن بـالقتلى من أصحاب رسول الله ﷺ ، يقطعن الآذان والآنف ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خلاخل وقلائد ، وأعطت هنـد خلاخيلهـا وقلائـدها

وقرطها وحشيًا غلام جبير بن مطعم مكافأة له على قتل حمـزة ، وشـقت بطن حمزة ، وأخرجت كبده ، وحاولت مضـغها فلـم تسـتطع فلفظتهـا وأخرجتها وطرحتها .

ومثل النسوة بعبد الله بن عمرو ، والد جابر ، فقطعوا أذنيه وأنفه .

وشغلن بالتمثيل فى القتلى ، يقطعن الآذان والأنوف والفروج ، يفقأن العيون ، ويبقرن البطون . وهن فى ظن أن رجـالهن قتلـوا محمـدًا ﷺ وأشراف أصحابه ، وصاح أبو سفيان يفتخر بإلهه : اعْلُ هبل - أى ارتفع وارفع عبدتك يا هبل - صاح يقول : يوم بيوم بـدر ، والحـرب سـجال والأيام دول .

٣٠٣٩ - عن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رضى الله عنهما - قَالَ : جَعَـلَ النَّبِىُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ - وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلا - عَبْدَ اللَّـهِ بْـنَ جُبَيْرٍ فَقَالَ : « إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ ، فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّـى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ » فَهَزَمُوهُمْ . قَالَ : فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَـاءَ يَشْـتَدِدْنَ قَـدْ بَـدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ - يهرولن ويجرين هربًا من الأسـر - **فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ : الْغَنِيمَةَ - أَىْ قَوْمِ - الْغَنِيمَـةَ ، ظَهَـرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ : أَنَسِيتُمْ مَـا قَـالَ لَكُـمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ؟ قَالُوا : وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ . فَلَمَّـا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِـى أُخْرَاهُمْ . فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِىِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَىْ عَشَرَ رَجُـلا ، فَأَصَـابُوا مِنَّـا سَبْعِينَ ، وَكَانَ النَّبِىُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِـينَ وَمِائَةً سَبْعِينَ أَسِيرًا وَسَبْعِينَ قَتِيلا ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَفِى الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ . فَنَهَاهُمُ النَّبِىُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ ثُمَّ قَالَ : أَفِى الْقَوْمِ ابْـنُ أَبِـى**

قُحَافَةَ ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : أَفِى الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : أَمَّا هَؤُلاَءِ فَقَدْ قُتِلُوا . فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فَقَالَ : كَذَبْتَ وَاللَّهِ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ ، وَقَدْ بَقِىَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ . قَالَ : يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِى الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِى ، ثُمَّ أَخَذَ يَرْتَجِزُ أُعْلُ هُبَلْ ، أُعْلُ هُبَلْ . قَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ » ؟ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : « قُولُوا : اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ » . قَالَ : إِنَّ لَنَا الْعُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ . فَقَالَ النَّبِىُّ ﷺ : « أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ » ؟ قَالَ : قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا نَقُولُ ؟ قَالَ : « قُولُوا : اللَّهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ » . وهكذا وقعت هزيمة المسلمين بسبب مخالفة الرماة لأمر القائد. وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتى قتل، قتله ابن قمئة الليثى، وهو يظن أنه رسول الله ﷺ ، فرجع إلى قريش وقال : قتلت محمدًا .

فلما قتل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء على بن أبى طالب ، فتقدم به ، فناداه أبو سعد بن أبى طلحة صاحب لواء المشركين : آن هل لك يا أبا القصم من حاجة إلى البراز ؟ قال : نعم ، فبرزا بين الصفين ، فاختلفا ضربتين ، فضربه على فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه ، فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه كشف لى عن عورته ، وعرفت أن الله قد قتله .

ثم أنزل الله نصره على المؤمنين ، كما قال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ﴾ (١). أى إذ تقتلونهم ، وأصبحت هزيمتهم لا شك فيها ، وبدأ النساء فى الفرار ، يقول الزبير : والله لقد رأيتنى أنظر

(١) سورة آل عمران . آية : ١٥٢.

إلى خلخال هند ، وقد شمرت وكشفت عن ساقيها ، هى وصواحبها هوارب ، إذ مالت الرماة المسلمون نحو العسكر يتسابقون فى جمع الغنائم، وتركوا مواقعهم ، ورأى خالد بن الوليد هذه الثغرة فالتف بخيله حتى احتل موقع الرماة وقتل قائدهم ، وجاء المسلمين بخيله من ورائهم ، فانكفئوا راجعين ، وانكفأ القوم عليهم ، فاختلطوا بالمشركين ، والتبس العسكر فلم يتميزوا ، فوقع القتل على المسلمين بعضهم من بعض ، وبصر حذيفة أباه يضربه المسلمون ، فنادى : يا عباد الله . أبى . أبى ، فما تركوه حتى قتلوه ، وكان شيخًا كبيرًا ، تركه الرسول ﷺ مع النساء والصبيان ، فأخذته الغيرة على الإسلام يهزم ، فرغب فى الشهادة ، فدخل المعركة المتجالدة المتداخلة فكانت شهادته ، وصار المسلمون ثلاث فرق : فرقة فروا واستمروا فى الهزيمة ، وتابعوا هروبهم فى الشعاب حتى قرب المدينة ، وما رجعوا حتى انفض القتال ، وكانوا قليلين . قال بعضهم : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبى ، يستأمن لنا من أبى سفيان . وفرقة صاروا حيارى لما سمعوا أن النبى ﷺ قتل ، فصار غاية الواحد منهم أن يدافع عن نفسه ، وهم أكثر الصحابة ؛ وهم الذين نزل فيهم : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ ﴾ (١) . وفرقة ثبتت مع النبى ﷺ ، ثم تراجع إليه القسم الثانى شيئًا فشيئًا ، لما عرفوا أنه حي ، وفيه نزل قوله تعالى : ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ ﴾ (٢) فرجع نفر من

---

(١) سورة آل عمران ، آية : ١٥٥.

(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٥٣.

رماة المسلمين ، فصعدوا الجبل ، فرموا خيل المشركين ، حتى هزمهم الله ، وعلا المسلمون .

• مقتل سعد بن الربيع

سعد بن الربيع ﷺ كان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدرًا وأحـدًا ، واستشهد يوم أحد .

• مقتل أنس بن النضر

وكانت هناك بطولات إسلامية أعادت عقرب الساعة ، وغيرت لسان الهزيمة ، مما اضطر المشركين إلى الانسحاب والرجوع إلى مكة ، مـن هذه البطولات أنس بن النضر ، وهذا حديثه :

٤٠٤٨ - عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ عَمَّهُ غَابَ عَنْ بَدْرٍ فَقَالَ : غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالِ النَّبِيِّ ﷺ ، لَئِنْ أَشْهَدَنِى اللَّهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ مَا أُجِدُّ . فَلَقِـىَ يَوْمَ أُحُدٍ ، فَهُزِمَ النَّاسُ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّى أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَـؤُلاَءِ - يَعْنِى الْمُسْلِمِينَ - وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ . فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِىَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ فَقَالَ : أَيْنَ يَا سَعْدُ ، إِنِّى أَجِدُ رِيحَ الْجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ . فَمَضَى فَقُتِلَ ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ ، وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ .

• مقتل عمرو بن الجموح

وكان عمرو بن الجموح رجلا أعرج شديد العرج ، وكان له أربعـة من البنين مثل الأسود ، يشهدون مع رسول الله ﷺ المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله قد عذرك ، فلا جهاد عليك ، فـأتى

رسول الله ﷺ ، فقال : إن بنى يريدون أن يحبسونى عن هذه الحرب ، ويمنعونى من الخروج معك والله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : أما أنت فقد عذرك الله ولا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه لعل الله أن يرزقه الشهادة ، فخرج معه فقتل يوم أحد .

• رسول الله ﷺ ومعركة أحد

لما انهزم الناس وولوا ، ثبت رسول الله ﷺ يدعو الناس إلى الله ، فرماه ابن قمئة بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته – سنه السفلى اليمنى التى بجوار الناب ، كسر منها جزء صغير – فدعا عليه رسول الله ﷺ ، فنطحه تيس جبل وهو فوق الجبل ، بعد أن انصرف إلى أهله ، فسقط إلى القاع ممزقًا قطعًا .

وقد اختلفت الروايات فى عدد الصحابة الذين أحاطوا بالنبى ﷺ ودافعوا عنه فى هذا الموقف العصيب ، وليس فى هذا الاختلاف تناقض أو تعارض ، فقد بدءوا قلة ، ثم كثروا بتراجع من رجع ، وقلوا وقت كثرتهم باستشهاد من استشهد ، وتوجه النبى ﷺ ومن معه إلى الشعاب ينادى أصحابه ، ويطلب منهم أن يرجعوا وأن يثبتوا ، واستشهد من معه ﷺ من الأنصار فلم يبق معه غير طلحة وسعد ، وقد أبلى طلحة فى الدفاع عن النبى ﷺ بلاء فريدًا ، تشهد بذلك الأحاديث :

٤٠٦٣ – عَنْ قَيْسٍ قَالَ : رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ ، وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يوْم أُحُد .

وعند الحاكم : « جرح طلحة يوم أحد تسعًا وثلاثين أو خمسًا وثلاثين ، وشلت إصبعه السبابة والتى تليها » .

وعند الطيالسى عن عائشة – رضى الله عنها – قالت : كان أبو بكر إذا ذكر أُحُدًا قال : كان ذلك اليوم كله لطلحة . قال : كنت أول من فـاء ، فرأيت رجلا يقاتل عن رسول الله ﷺ قال : فقلت : كن طلحة ، حيث فاتنى هذا المكان يكون رجل من قومى ، وبينى وبينه رجل ، فإذا هو أبو عبيدة ، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ ، فقال : دونكما صاحبكما يريد طلحة ، فإذا هو قد قطعت إصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

وعند النسائى : « فأدرك المشركون رسول الله ﷺ ، وقتلوا من معه من الأنصار ، فقال رسول الله ﷺ : من للقوم ؟ فقال طلحة : أنا ، ثم قاتل قتال الأحد عشر حتى ضربت يده فقطعت أصابعه .

ويحكى لنا الحديث مظهرًا من مظاهر بطولات طلحة فى هذا اليوم ، فيقول :

٣٨١١ – **لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ وَأَبُو طَلْحَـةَ بَيْنَ يَدَىِ النَّبِىِّ ﷺ مُجَوِّبٌ بِهِ** – أى مترس عليه يحيط به ويغطيه بنفسه – **عَلَيْهِ بِحَجَفَةٍ** – بترس – **لَهُ ، وَكَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَجُلا رَامِيًا شَـدِيدَ الْقِـدِّ** – شديد وتر القوس – **يَكْسِرُ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَـهُ الْجُعْبَةُ مِنَ النَّبْلِ فَيَقُولُ : انْثُرْهَا لأَبِى طَلْحَةَ . فَأَشْرَفَ النَّبِىُّ ﷺ يَنْظُرُ إِلَـى الْقَوْمِ ، فَيَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ : يَا نَبِىَّ اللَّهِ بِأَبِى أَنْتَ وَأُمِّى ، لاَ تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ ، نَحْرِى دُونَ نَحْرِكَ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بِنْتَ أَبِـى بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ ، أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا ، تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ عَلَى مُتُونِهِمَا ، تُفْرِغَانِهِ فِى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ، ثُمَّ تَرْجِعَانِ فَتَمْلآنِهَا ، ثُـمَّ تَجِيـآنِ فَتُفْرِغَانِهِ فِى أَفْوَاهِ الْقَوْمِ ، وَلَقَدْ وَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدَىْ أَبِـى طَلْحَـةَ إِمَّـا مَرَّتَيْنِ ، وَإِمَّا ثَلاثًا .**

ووقع رسول الله ﷺ فى حفرة من الحفر التى حفرها أبو عامر ليقـــع فيها المسلمون وهم لا يعلمون ، فلم يستطع الصعود حتى أخذ علـــى بيـــده وانحنى تحته طلحة فرفعه حتى استوى قائمًا ، فقال صلى الله عليه وسلم : أوجب طلحة – أى وجبت له الجنة حين صنع برسول الله ﷺ ما صنع .

وترس دون رسول الله ﷺ أبو دجانة بنفسه ، يقع النبل فى ظهـــره ، وهو منحن عليه ، حتى كثر فيه النبل ، ورمى سعد بن أبى وقـــاص دون رسول الله ﷺ ، قال سعد : فلقد رأيته يناولنى النبل ، وهو يقول : ارم فداك أبى وأمى ، حتى إنه ليناولنى السهم ما له نصل ، فيقول : ارم به .

ونهض مع رسول الله ﷺ فى الشعب أبو بكر وعمر وعلى وطلحـــة ابن عبيد الله والزبير بن العوام والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين .

فلما أسند رسول الله ﷺ فى الشعب أدركه أبى بـــن خلـــف ، وهـــو يقول : أين محمد ؟ لا نجوتُ إن نجوت . فقال القوم : يـــا رســـول الله . أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله ﷺ دعوه . فلما دنا منـــه تنـــاول الرسول ﷺ الحربة من الحارث بن الصمة ، ثم استقبله بها ، فجرحه جرحًا خفيفًا لكنه سقط به عن فرسه ، وتقلب ، وفر هاربًا .

ويقولُ أصحاب السير : إن أبى بن خلف كان يلقى النبى ﷺ بمكـــة ، فيقول له : يا محمد . إن عندى فرسًا أعلفه كل يوم ستة عشر مدًّا من ذرة لأقتلك عليه ، فيقول صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله .

فلما رجع إلى قريش . وفى رقبته خدش غير كبير احتقن فيه الدم ، فقال : قتلنى محمد والله . قالوا : لقد ذهب عقلك . ما بك من بأس . خدش صغير لا تعبأ به ، قال : إنه قد قال لى بمكة : أنا أقتلك . فوالله لو بصـــق على لقتلنى ، فلما وصلوا إلى "سرف" قبل مكة مات .

• الحكم والعبر من هزيمة أحد

نلخص أسباب الهزيمة لنتعظ ونتفاداها :

١. قلنا : إن من اشترك فى غزوة بدر حصل على فخر دنيوى وأجر أخروى كبير ، وبالتالى من فاته الاشتراك أصيب بالحسرة والأسف، وتحفز للمعركة القادمة ، وتمنى لقاء العدو ، مزهوًا بقوته ، معتمدًا على نفسه ، واثقًا من النصر ، فكان هو من عناصر الهزيمة ، إما باستشهادته ، وإما بفراره . وفيهم يقول الله تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ** ﴿١٤٣﴾ ﴾ (١) .

٢. وقلنا : إن الرسول ﷺ كان قد رأى رؤيا أولها بكثرة الضحايا والشهداء من المسلمين ، وخشى من الخروج ، ونصح بالتحصن بالبيوت فى المدينة ، فإن دخل الأعداء أزقة المدينة قوتلوا ، ورموا من فوق البيوت ، فأبى كثير من الناس إلا الخروج ، فخرج مكرهًا ، فكانت الهزيمة درسًا لسوء عاقبة معصية الرسول ﷺ .

٣. وقلنا : إن عبد الله بن أبى رأس النفاق رجع فى الطريق بثلث الجيش ، رجع بثلاثمائة من المنافقين ، وبقي جيش المسلمين سبعمائة فلما حصلت الهزيمة فرح المنافقون ، وأظهروا الشماتة ، وقالوا : لو أطاعونا ما حاربوا وما خرجوا وما قتلوا ، وكان النفاق فى المدينة خفيًا على المسلمين ، فظهر ، وظهر فرسانه ، وعرف المسلمون أن لهم عدوًا فى دورهم ، فاستعدوا لهم ، وتحرزوا منهم ، يصور القرآن الكريم هذا الموقف بقوله : ﴿ **وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ**

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٤٣ .

﴿ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ أى وليظهر المؤمنون الصادقون المخلصون ﴿ وَلِيَعْلَمَ ﴾ وليظهر ﴿ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (١).

٤. وقلنا إن الكفار كانوا يثأرون لهزيمتهم فى بدر ، فأعدوا لذلك العدة والسلاح ، وجاءوا بالعدد ثلاثة آلاف مقاتل ، ومائة فارس على مائة فرس ، بينما كان المسلمون سبعمائة مقاتل ، لا فرس معهم ، فلم يكن العدد والعدة متكافئين ، فكانت الهزيمة درسًا ، لأخذ الأهبة ، وإعداد العدة .

٥. وقلنا : إن الرماة تركوا أماكنهم جريًا وراء الإسراع بحيازة الغنيمة ، وكانوا قد نهوا عن ترك أماكنهم ، فكانت النتيجة الهزيمة ؛ ليعرف المسلمون نتيجة عصيان الأوامر ، وارتكاب النواهى ، لقد آثر بعضهم الغنيمة ، وقدموا عرض الدنيا . وقد عاتبهم الله بقوله : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ ﴾ بالنصر ابتداء ﴿ إِذْ تَحُسُّونَهُم ﴾ وتقتلونهم ﴿ بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا ﴾ فأسرع إلى

(١) سورة آل عمران – الآيات ١٦٦– ١٦٨ .

الغنيمة وانشغل بها ﴿ وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (١).

٦. كانت النتيجة الهزيمة ، ابتلاء واختبار ليتميز الصادق ، ويؤجر على صبره ، ويتعظ بالمصائب . قال الله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ ﴾ (٢).

٧. ويهيئ الله للكافرين الأسباب التى تؤدى بهم إلى التمادى فى الطغيان والبغى ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾ (٣).

٨. توجيه نظر المسلمين إلى الاتعاظ والاعتبار والإفادة من الابتلاء ، وعدم الاقتصار على الحزن والتباكى ، والنظر فى أسباب المصيبة ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ ﴾ واستشهد منكم فى أحد سبعون شهيدًا ﴿ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا ﴾ فى بدر ، قتلتم من المشركين سبعين ، وأسرتم منهم سبعين ﴿ قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (٤).

---

(١) سورة آل عمران – الآية ١٥٢ .

(٢) سورة آل عمران – الآية ١٧٩ .

(٣) سورة آل عمران – الآية ١٧٨ .

(٤) سورة آل عمران – الآية ١٦٥ .

٩. ولقد حصلت الهواجس والوساوس فى نفوس بعض المؤمنين لهول الموقف ، فكشف الله سترهم وسامحهم ، وعفا عنهم قال تعالى :

﴿ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) ﴾ [١].

١٠. وقد شاءت حكمة الله تعالى فى خلقه أن جعل فيهم فى الدنيا الابتلاء بالخير والشر فتنة . وكذلك الرسل يبتلون ، ثم يكون النصر عاقبتهم قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟

---

(١) سورة آل عمران – الآيات ١٥٤– ١٥٨ .

جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ ﴾ وأذى ﴿ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(٢).

• ماذا بعد غزوة أحد ؟

بعد انفصال الجيشين نادى أبو سفيان على الجبل : الحرب سجال – اى مساجلة ، يوم نصر ، ويوم هزيمة – يوم بيوم بدر ، أظهر دينك يا هبل – اسم صنم لقريش – فقال رسول الله ﷺ لعمر : قم يا عمر . قل له : الله أعلى وأجل . لسنا سواء . قتلانا فى الجنة ، وقتلاكم فى النار . قال له أبو سفيان : هلم إلى يا عمر ، فقال له رسول الله ﷺ : ائته فانظر ما شأنه فجاءه ، فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر . أقتلنا محمدًا ؟ قال عمر : اللهم لا . وإنه ليسمع كلامك الآن . قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر ؛ لأن ابن قمئة كان قد قال لهم : إنه قتل محمدًا .

ثم نادى أبو سفيان : إنه قد كان فى قتلاكم مثل – أى تمثيل – والله ما رضيت به ، وما سخطت عليه ، وما أمرت به ، وما نهيت عنه .

ثم نادى : إن موعدكم بدر ، فى العام القابل ، فقال رسول الله ﷺ لعمر : قل له : نعم . هو بيننا وبينك موعد .

وانصرف أبو سفيان ومن معه من الميدان ، واتجهوا نحو مكة .

---

(١) سورة يوسف – الآية ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران – الآيات ١٤٠- ١٤٢ .

ثم بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب ، فقال له : اخرج فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون ؟ وماذا يريدون ؟ فإن كانوا قد قادوا الخيل ، وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فـإنهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيهـا ، ثـم لأناجزنهم ولأنازلنهم ، فخرج على فى آثارهم ، فوجـدهم قـادوا الخيـل وامتطوا الإبل ، وتوجهوا نحو مكة .

كان ذلك فى يوم السبت الخامس عشر من شوال ، وكـادت شمسـه تغيب ، وتفرغ الصحابة لقتلاهم ، واحتمل ناس منهم قتلاهم إلى المدينـة ، فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله ﷺ عن ذلك ، وقال : « ادفنـوهم حيـث صرعوا » . وأخذ يفحص القتلى ، ويتعرف عليهم ، يلتمس حمزة ، فوجده ببطن الوادى ، قد بقر بطنه ، وأخرج كبده ، وقطع أنفه وأذنـاه ، وفقئـت عيناه ، فهطل دمعه ، وقال : لئن أظهرنى الله على قريش فى موطن مـن المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم . ثم قال يخاطب عمه : لـن أصـاب بمثلك أبدًا . ما وقفت موقفًا أغيظ إلىّ من هذا ، ثم أمـر فغطـى حمـزة ببردة ، ثم صلى عليه .

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب شقيقته تنظر إليه ، فقـال النبـى ﷺ لابنها الزبير بن العوام : ارجعها . لا ترى ما بأخيها . فقال لها الزبيـر : يا أم . إن رسول الله ﷺ يأمرك أن ترجعى . قالت : ولمَ ؟ وقد بلغنـى أن قد مثل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان . لأحتسبن ولأصـبرن إن شاء الله .

فلما جاء الزبير إلى رسول الله ﷺ أخبره بما قالت ، فقال له : خـل سبيلها ، فأتته ، فنظرت إليه ، وقالـت : إنـا لله وإنـا إليـه راجعـون ، واستغفرت له ، فأمر به رسول الله ﷺ فدفن .

ولم يمض نصف الليل حتى كان الرسول ﷺ بالمدينة ، وسمع البكاء والنوائح فى داخل دور الأنصار على قتلاهم – ولم يكن العويل والنواح قد حرم بعد – فقال : لكن حمزة لا بواكى له ، وسمعه سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير ، فأمر نساءهما أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على حمزة عم رسول الله ﷺ ، وكانت المواساة ومشاركة أهل الميت فى البكاء والنواح من عاداتهم ، فلما سمع رسول الله ﷺ بكاءهن على حمزة خرج عليهن ، وهن على باب مسجده ، وقال : يرحمكن الله . ارجعن ، فقد واسيتن بأنفسكن ، ونهى يومئذ عن النواح .

ولما أصبح صباح يوم الأحد السادس عشر من شوال نادى منادى رسول الله ﷺ : أيها المسلمون . الطلب الطلب ، ولا يخرج معنا أحد لم يحضر يومنا بالأمس فى أحد . أراد صلى الله عليه وسلم بذلك أن يرهب العدو ، فإذا بلغهم أنه خرج فى طلبهم ظنوا أنه ما زالت به قوة ، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم ، ولم يخفهم من عدوهم .

وجاء جابر بن عبد الله – وقد استشهد أبوه فى أحد ، فقال : يا رسول الله . إن أبى قد خلفنى على أخواتى ، وقال : يا بنى . لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، فأذن له صلى الله عليه وسلم بالخروج معه ، وجاء عبد الله بن أبى رأس المنافقين فقال : أنا خارج معك ، فأبى رسول الله ﷺ .

خرج رسول الله ﷺ وأصحابه حتى وصلوا إلى حمراء الأسد – بينها وبين المدينة ثمانية أميال – فعسكروا فيها – وكان أبو سفيان قد سبقهم إليها ، وإلى الروحاء ، وقد خطر له أن يعودوا إلى المدينة ، فلا يتركوها حتى يستأصلوا ما بقى من المسلمين ، ومر ركب من بنى عبد قيس ، فقال لهم : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟ قال لهم : بغوا عنا محمدا أنا قد

أجمعنا السير إليهم لنستأصل بقيتهم ، فلما بلغوا قال المسلمون : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ونزل قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ (١). فمر به رجل من خزاعة كان مشركًا آنذاك ، ولكنه كان يتعاطف مع المسلمين ، فقال له أبو سفيان : ما وراء يا معبد ؟ قال : محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم ، في جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون لمقاتلتكم تحرقًا ، قد اجتمع معه من كان قد تخلف عنه بالأمس . قال : فما تقول ؟ لقد عزمت على الكرة عليهم ؟ قال : لا تفعل . نصيحة لك ، فأسرع أبو سفيان ومن معه إلى مكة .

وأقام رسول الله ﷺ وأصحابه بحمراء الأسد ثلاثة أيام ، عادوا بعدها إلى المدينة يوم الأربعاء ، وقد استردوا كثيرًا من هيبتهم بعد هزيمة أحد .

عاد الرسول ﷺ إلى المدينة ليواجه المهام الصعاب :

اليهود يشمتون ويقولون : لو كان نبيًا ما ظهروا عليه ، وما هزموه وما قتلوا منهم من قتلوا ، وأخذوا يتكتلون مع المشركين والمنافقين .

المنافقين يشمتون فرحين ، يقولون : لو نعلم أنكم ستقاتلون قريشًا لقاتلنا معكم ﴿ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾

(١) سورة آل عمران - الآيات ١٧٢- ١٧٤ .

﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ (١).

وكان عبد الله بن أبى صاحب مقام كبير فى قومه ، كانوا يعدونه ليكون ملكًا عليهم ، وكان يتبعه كثير منهم رهبة ورغبة ، ولذلك لما رجع من غزوة أحد رجع معه ثلاثمائة مقاتل ، ثلث الجيش ، وكان إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب الناس قام عبد الله بن أبى بين أتباعه يخطبهم ، ويقول : أيها الناس . هذا رسول الله ﷺ بين أظهركم ، أكرمكم الله به ، وأعزكم به ، فانصروه وعزروه ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس ، يقول ذلك بفمه ، ويخفى ما فى قلبه ، يقول ذلك وهو يتخلف عن صلاة الجمعة ، يقول ذلك كذبًا وسخرية واستهزاء وتغطية لحقده الدفين ، حتى إذا رجع الرسول ﷺ إلى المدينة بعد الهزيمة قام عبد الله بن أبى يفعل ما كان يفعل – وقد علم الصحابة أنه كان من أسباب الهزيمة – فقالوا له : اجلس يا عدو الله لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ما صنعت . نعم كان النصر فى غزوة بدر سببًا من أسباب خلق النفاق ، إذ خشى الجبناء من الكافرين قوة المسلمين ، فأظهروا الإسلام ، وأبطنوا الكفر ، وأيدوا المسلمين فى الظاهر ، وحاربوهم من الباطن ، وكانت هزيمة المسلمين فى أحد سببًا فى ظهور المنافقين .

وكانت جبهة المنافقين أقوى جبهة تآمرت على الإسلام ورسوله ﷺ ، وكان لها دور كبير فى خلق معوقات الدعوة ، وكان رسول الله ﷺ يتعامل مع كبيرهم ومعهم معاملة الرفق والإحسان ، مما أغضب عمر وبعض المسلمين . وقد تعرضنا لهذه المواقف .

---

(١) سورة آل عمران – الآيات ١٦٩– ١٧١ .

أما أهل شهداء أحد من المسلمين فقد عم حزنهم ، وانتشر بكاؤهم ، وعلا نواحهم ونحيبهم ، وأصبحت الحالة فى حاجة إلى علاج يخفف آلام المكلومين ، فكانت البشرى من الله تعالى عن حال الشهداء ، إذ قال :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ﴾ (١). وكانت الأحاديث :

٢٧٨٧ - عَنِ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : « مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِى سَبِيلِهِ - كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِى سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ أَوْ يَرْجِعَهُ سَالِماً مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ » .

٢٧٩٠ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ، وَبِرَسُولِهِ ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ، وَصَامَ رَمَضَانَ ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ جَاهَدَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ جَلَسَ فِى أَرْضِهِ الَّتِى وُلِدَ فِيهَا » . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ . أَفَلَا نُبَشِّرُ النَّاسَ . قَالَ : « إِنَّ فِى الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، أُرَاهُ فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ » . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ فُلَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ : « وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ » .

٢٧٩٥ - وعَنْ أَنَسِ بْنَ مَالِكٍ ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « مَا مِنْ عَبْدٍ

(١) سورة آل عمران - الآيات ١٤٠- ١٤٢

يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا ، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا ، إِلاَّ الشَّهِيدَ ، لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى » .

٢٧٩٧ - وعَن أَنَّ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِىَّ ﷺ يَقُولُ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوْلاَ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لاَ تَطِيبُ أَنْفُسُهُمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّى ، وَلاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ ، مَا تَخَلَّفْتُ عَنْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِى سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنِّى أُقْتَلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ ثُمَّ أُحْيَا ، ثُمَّ أُقْتَلُ » .

٢٨٠٣ - وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لاَ يُكْلَمُ - يجرح - أَحَدٌ فِى سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ فِى سَبِيلِهِ - إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ » .

٢٨١٧ - وعن أَنَسَ بْنَ مَالِك ﷺ عَنِ النَّبِىِّ ﷺ قَالَ : « مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَىْءٍ ، إِلاَّ الشَّهِيدُ ، يَتَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ ، لِمَا يَرَى مِنَ الْكَرَامَةِ » .

وكانت الجبهة الخارجية فى حاجة إلى تقوية ، واسترداد المسلمين لهيبتهم ، فقد طمع فيهم المشركون من العرب . وبدءوا يكيدون ويمكرون ويؤذون ، فقدم على رسول الله ﷺ وفد من عضل والقارة ، يطلبون منه أن يرسل معهم من يرغب فى الإسلام ، وأعطوه العهود والمواثيق ، فأرسل معهم عشرة فقتلوهم .

وقبيلتا رعل وذكوان أرسلوا إلى النبى ﷺ أنهم أسلموا وطلبوا منه أن يرسل إليهم من يعلمهم ويرغب قومهم فى الإسلام ، فأرسل إليهم سبعين من القراء فقتلوهم فيما عرف بأصحاب بئر معونة .

وجاء عامر بن الطفيل إلى رسول الله ﷺ يخيره بين ثلاث ، أن يقتسم معه الناس فيكون لعامر أهل البوادى ولمحمد ﷺ أهل الحضر ، أو يكون الخليفة لمحمد ﷺ ، أو يحاربه بألف مقاتل وألف فرس .

وأغار عيينة بن حصن زعيم غطفان على سرح النبى ﷺ ونوقه واستاقه كله وقتل راعيه ، وكانت ما عرف بغزوة ذات القرد ، وفيها استرد رسول الله ﷺ وأصحابه إبلهم المنهوبة ، ثم عادوا .

وفى المحرم بلغ النبى ﷺ أن طلحة بن خويلد الأسدى يجمع الجموع لحرب النبى ﷺ ، فأرسل رسول الله ﷺ سرية من مائة وخمسين بقيادة أبى سلمة ، فلما سمعوا بالسرية خافوا وأقلعوا خيامهم ، وهربوا ، وتفرقوا، وتركوا إبلا وغنمًا استولى عليها المسلمون دون قتال وعادوا إلى المدينة وفى عودتهم توفى قائدهم أبو سلمة من أثر جرح أصابه فى أحد ، فالتئام ثم انفجر ، وكان أخًا لرسول الله ﷺ من الرضاع ، أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب .

وفى شعبان ، الموعد الذى حدده أبو سفيان ، خرج الرسول ﷺ وأصحابه إلى بدر ، فى ألف وخمسمائة ، فأقاموا بها ثمانيًا فى انتظار أبى سفيان ، وكان أبو سفيان قد خرج بجيشه فى الموعد حتى وصل إلى عسفان ، فألقى الله فى قلبه الرعب ، فقرر أن يرجع ، فقال لمن معه : ان هذا العام عام جدب وقحط ، ولا يصلح لنا إلا عام خصب ، وإنى راجع ، فارجعوا ، فرجعوا .

فى هذا العام مات عبد الله بن عثمان بن عفان من رقية بنت رسول الله ﷺ ، وكان ابن ست سنين .

وولد الحسين بن على من فاطمة ، وكان الحسن قد ولد قبله بعام رضى الله عنهم أجمعين .

كانت المهمة الأساسية لرسول الله ﷺ تبليغ الدعوة وما ينــزل مــن القرآن ، وفى هذه الفترة ، فى السنوات الأربع فى المدينة :

١- تحولت قبلة الصلاة من بيت المقدس إلى الكعبة . فبعد ستة عشر شهرًا من وصوله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة نزل قوله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ (١). وفى ذلك يقول الحديث :

(١) سورة البقرة – الآيات ١٤٤- ١٥٠ .

٣٩٩ - عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ - رضى الله عنهما - قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَّى نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يُوَجَّهَ إِلَى الْكَعْبَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ فَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ ، وَقَالَ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ - وَهُمُ الْيَهُودُ - مَا وَلاَّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِى كَانُوا عَلَيْهَا ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾ فَصَلَّى مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ مَا صَلَّى ، فَمَرَّ عَلَى قَوْمٍ مِنَ الأَنْصَارِ فِى صَلاَةِ الْعَصْرِ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَقَالَ : هُوَ يَشْهَدُ أَنَّهُ صَلَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَأَنَّهُ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْكَعْبَةِ . فَتَحَرَّفَ - فمال - الْقَوْمُ حَتَّى تَوَجَّهُوا نَحْوَ الْكَعْبَةِ .

٢- وفرض صيام شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة .

ونزل قول الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (١).

(١) سورة البقرة - الآيات ١٨٣- ١٨٥.

٣- وفرضت الزكاة فى السنة الثانية ، والمشهور أنها فرضت قبل فرض صيام رمضان

٤- وفى هذه السنوات الأربع تزوج صلى الله عليه وسلم عائشة وحفصة وزينب بنت خزيمة وأم سلمة رضى الله عنهن . وزوَّج ابنته فاطمة عليًّا ، وزوج ابنته أم كلثوم عثمان بن عفان بعد وفاة رقية .

٥- وفى هذه السنوات الأربع ركز صلى الله عليه وسلم على توجيه المسلمين إلى الله وقدره ، وأنه الفعال لما يريد ، وأن الأسباب بدون إرادته لا تفيد ، فقال : « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر . وفر من المجذوم فرارك من الأسد ، فقال له الأعرابى : يا رسول الله . ما بال إبلى تكون فى الرمل كأنها الظباء ، فيذخل عليها البعير الأجرب فيجربها ؟ قال له صلى الله عليه وسلم : فمن أعدى الأول ؟ » وفى إطار هذا الهدف قال صلى الله عليه وسلم :

حديث تأبير النخل

حديث تأبير النخل رواه الإمام مسلم والإمام أحمد وابن ماجه . ورواياته كما فى صحيح مسلم :

عَن مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَن أَبِيهِ – رضى الله عنهما – قَالَ : مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ . فَقَالَ : مَا يَصْنَعُ هَؤُلاءِ؟» فَقَالُوا : يُلَقِّحُونَهُ . يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الأُنْثَى فَيَلْقَحُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا » قَالَ : فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ . فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ : « إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ . فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا . فَلا تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ . وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنِ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ . فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ».

وعن رافع بن خديج قال: « قدم نبى الله ﷺ المدينة وهم يؤبرون النخل- يقولون: يلقحون النخل- فقال : ما تصنعون ؟ قالوا : كنا نصنعه . قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا ، فتركوه ، فنفضت ! قال : فذكروا ذلك له ، فقال : إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيى فإنما أنا بشر .

وعن أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ مر بقوم يلقحون ، فقال : لو لم تفعلوا لصلح . قال : فخرج شيصا ، فمر بهم ، فقال : ما لنخلكم ؟ قالوا : قلت : كذا وكذا . قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم.

هذا الحديث هو عمدة أدلة الباحث فى بحثه :

ترك سبب الورود وحادثته وأخذ يكرر " أنتم أعلم بشئون دنياكم" كرره ثمانى مرات فى صفحات ثمان، يحاول أن يستدل به على أن أمور الدنيا لا علاقة لها بالتشريع "

وأن أوامره ونواهيه فى البيع والشراء وبقية المعاملات من هذا القبيل وليست من الدين .

وأن الناس اليوم أعلم بها منه ﷺ ، فليتركوا تشريعه ، وليشرعوا لأنفسهم ما يرون أنه يصلحهم.

هواة التحلل

إن هذا الحديث من زمن طويل كان المشجب الذى يعلق عليه من شاء ما شاء من أمور الشرع التى يراد التحلل منها : فبعضهم أدخل تحته الأكل والشرب والنوم والفراش واللباس والمشي والجلوس وغير ذلك من الأمور الخاصة بالحاجة والطبيعة البشرية.

والتحقيق أنه من الخط أن نطلق هذا الإطلاق ، فكل من هذه الأمور منها الواجب شرعًا، ومنها المحرم شرعًا، ومنها المكروه ، ومنها المندوب ، ومنها المباح ، فبعض المأكولات محرم ، وبعض المشروبات محرم ، والنوم قد يكون ممنوعًا شرعًا ، كالنوم عن الصلاة ، أو نوم السائق الذي يعرض حياته وحياة الراكبين معه للخطر ، والفراش واللباس قد يكون محرمًا لاستعمال الأقمشة المحرمة فيه .

وحتى إذا أردنا كيفية هذه الأمور نجد منها الممنوع شرعا، كالأكل بالشمال ، والأكل مما يلي الآخرين، وتحريك اليد في جنبات الإناء ، ولباس المتكبرين ومشيتهم ، والإسراف في الفراش ، والجلوس على هيئة إقعاءة الكلب ، وإقامة الرجل الرجل من مجلسه ثم الجلوس فيه ، والجلوس على الطرقات إلا بحقها . نعم . في هذه الأمور مباحات ، اختار الرسول ﷺ أحدها ولم يمنع الآخر ، فكان مثلا يحب من اللحم الذراع ، ومن المشروب اللبن ، وكان فراشه من جلد حشوه ليف ، وكان يمر على بيوته صلى الله عليه وسلم الشهر والشهران ، ثلاثة أهلة في شهرين وما يوقد في بيته نار لعدم وجود ما يطهى بالنار ، وإنما كان يعيش هو وأهله على التمر والماء .

في حين كان بعض الصحابة يحب الفخذ من اللحم، وينام على لين الفراش ، ويلبس من أفخر الثياب ، ويأكل من أشهى الطعام ، وليس في شيء من ذلك التزام شرعي ، شأن جميع المباحات ، وإن كانت نية التأسي به صلى الله عليه وسلم ، والاقتداء به في المباحات لا تخلو من أجر وثواب .

فإذا أريد إدخال المباحات من الأكل والشرب والنوم واللباس والمشي والجلوس في حديث « أنتم أعلم بشئون دنياكم » فلا بأس ، حتى في

المعاملات ، كل إنسان أعلم بشئون دنياه في الأمور المباحة له أن يشترى سيارة أو أن يشترى بيتا ، وله أن يبيع حديقة ، أو أن يبيع عمارة من ملكه مادام ذلك مباحًا شرعًا.

لكن إدخال المعاملات الممنوعة شرعا تحت هذا الحديث هو الذى لم نسمع به من قبل ، لم يسبق به الباحث على مدى علمى ، وأرجو ألا يتبعه فى ذلك أحد بعد ، بل أرجو له أن يعدل عن رأيه ، والحق أحق أن يتبع .

والباحث نفسه يشعر أنه أتى أمرًا يفزع له كل مسلم ، وتقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم بالغيب ، فهو يقول فى صفحة " ٦٢ ": " لا داعى للانزعاج ، هذه نتيجة منطقية حتمية ، ولو أنها قد تصدم بعض الناس ؛ لأنهم لم يتعودوا أن يسمعوا أو يقرءوا مثلها ".

ويقول صفحة " ٤٥": " أرجو أن يحكم القارئ عقله معى ، ويحكم المنطق السليم ، ولا تقلقُ نفسه لمجرد رأى ربما لم يسمعه من قبل ، وربما يكون مخالفًا لما استقرت عليه نفسه ".

ونعود إلى حديث تأبير النخل ، فنقول :

إن هناك أعمالا للبشر تكتسب عن طريق العلم والتدريب والممارسة والتجارب والخبرة . كالزراعة والنجارة والحدادة والغزل والنسيج والحياكة ومعرفة خصائص النباتات والمعادن ونحو ذلك مما يتخصص فيه ويجيده بعض البشر . فهذه الأمور ليست من مهمة الرسالة ، وليست من مهمة الرسول ﷺ ولا من مؤهلاته أن يكون ماهرًا فيها ، ولا خبيرًا بدقائقها، ولا يضيره أنه ليس عالمًا بالذرة ولا بطبقات الأرض ، ولا بتفاعل الكيماويات ، ولا بنقل الصور والأصوات عبر الآلات ، ومثل ذلك أمور الطب وفنون الحرب . فإذا ما تكلم ﷺ مع الخبراء فيها فكلامه مبنى على الظن الذى قد يخطئ ، كأى إنسان غير متخصص ، ولهذا جاء في بعض

روايات حديث تأبير النخل : « إنما أنا بشر » . « إنما ظننت ظنا » . وحديث تأبير النخل من هذا القبيل ، فهو كلام مع المتخصصين في الزراعة ، العاملين بما يصلح النخيل . فمحاولة الباحث جر هذا الحديث إلى المعاملات من بيع وشراء ونحو ذلك ، أو محاولة جر المعاملات لتستظل بظل هذا الحديث محاولة فاشلة ومرفوضة ومكشوفة البطلان ، لما سنبينه في شرح الحديث تحليليا ، فنقول وبالله التوفيق : « **أنتم أعلم بشئون دنياكم** » جملة تقسم إلى ثلاثة مقاطع :

« أنتم » والمراد من المخاطبين .

و « أعلم » والمراد من المفضل عليه .

و « شئون دنياكم » وتحديد المراد منها .

وبعبارة أخرى : مَنْ ؟ أعلم مِنْ مَنْ ؟ وبأى شيء هم أعلم ؟

أما المقطع الأول فالخطاب الشرعى عند الأصوليين هو أصالة لمن سمعوا الخطاب ، وقد يقصر عليهم إذا كان التكليف لهم وحدهم كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِۦ** ﴾ (١) . فالخطاب هنا لجنود طالوت لا يتعداهم إلى غيرهم . وقد يراد بالتكليف غيرهم معهم ، كقوله تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾ (٢). فالتكليف قطعًا موجه للسامعين ولغير السامعين من المسلمين المعاصرين وغير المعاصرين إلى يوم القيامة ، لكن غير السامعين هل هم مكلفون بالخطاب والنص ؟ على معنى أقيموا

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٤٩ .

(٢) سورة البقرة – الآية ٤٣ .

الصلاة يا من يتأتى خطابكم بهذا التكليف في أي زمان وفي أي مكان ؟ أو مكلفون بالقياس على السامعين ؟ قولان عند الأصوليين . فالخطاب في الحديث « أنتم » للعشرة أو العشرين الذين كانوا يلقحون النخل بالمدينة أصالة ، وحين يراد غيرهم معهم يبجث فى المقصود بهذا الغير ليعطي الحكم نفسه .

و « أعلم » أفعل تفضيل . فهل المفضل عليه رسول الله ﷺ ؟ كأنه قال: " أنتم أعلم منى ؟ أو هو ومن على شاكلته ممن يجهل هذا الشيء ، أو المفضل عليه من عدا المخاطبين أصلا . أي أنتم أعلم من كل الناس ؟

و" شئون الدنيا " هل المراد بها مصلحة النخل فقط ؟

أو مصلحة النخل وما على شاكلتها من المهن والخبرات ؟

أو كل شئون الدنيا ؟ فتدخل المعاملات ؟

لنتصور الاحتمالات ، ثم نختار مها، ما يصلح لأن يكون مراد المشرع الحكيم :

الاحتمال الأول : أنتم أيها الذين تلقحون النخل أعلم بما يصلح النخل منى وممن لا علم له بالزراعة ، أي أنتم أعلم بشئون دنياكم هذه التى تباشرونها ، والتى لم تنجح منها مشورتى ، أعلم منى ومن مثلى ، فالحديث على هذا واقعة عين أو واقعة حال ، لا يستدل بها على غيرها أصلا .

الاحتمال الثانى : أنتم أيها الذين تلقحون النخل ومن على شاكلتكم من أهل الصناعات والمهارات والخبرات أعلم بصنائعكم منى . وممن ليس من أهل الصناعات ، والكلام على التوزيع ، على معنى : أن كل أهل صنعة أعلم بها ممن ليسوا من أهلها ، كما يقال : أهل مكة أدرى بشعابها.

الاحتمال الثالث : أنتم أيها الذين تلقحون النخل بالمدينة أعلم بما

يصلح النخل منى ومن غيركم من زارعى النخل فى البلاد والأزمان المختلفة ، وهذا الاحتمال واضح البطلان ، ففى بعض البلاد وفى بعض الأزمان من هم أعلم منهم بذلك .

الاحتمال الرابع : أنتم أيها الذين تلقحون النخل بالمدينة أعلم بالخبرات والصناعات المختلفة مني ومن غيرى ، حتى من أهل الصناعات أنفسهم ، على معنى أنتم أعلم بالطب مثلا منى ومن الأطباء . وهذا الاحتمال واضح البطلان.

هذه الاحتمالات الأربعة مبنية على أن المراد من شئون الدنيا الصناعات والمهارات والخبرات ، فإذا أردنا من شئون الدنيا مصالح كل فرد أو مصالح كل مجموعة من مباحات الدنيا ، كالمقارنة بين شراء بيت أو شراء سيارة كان الاحتمال الآتى :

الاحتمال الخامس : أنتم الذين تلقحون النخل بالمدينة ومثلكم جميع الناس أعلم بشئون دنياكم وما يصلح لكم من غيركم ، والكلام على قاعدة : مقابلة الجمع بالجمع تقتضي القسمة آحادا ، تقول : أعطيت الطلاب كتبًا على معنى أعطيت كل طلب كتابا ، فيصبح المعنى كل واحد أعلم من غيره بشئون وصالح نفسه، وهذا الاحتمال إن صح فى المباحات لا يصح في الواجبات والمحرمات ، فالشرع وحده هو الذي حددها على أنها المصلحة، بناء علم سبق علم الله الذى خلق . ثم إن هذا الاحتمال لا يتناسب مع قصة الحديث .

ومما هو واضح أن الاحتمال الثانى هو المراد ، ثم يليه الأول ، وعلى كل حال لا يصح الاستدلال بالحديث على إباحة التغيير فى المعاملات ؟ لأن الحديث - كما رأينا - تطرق إليه أكثر من احتمال ، والدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال .

احتمال دخول المعاملات مستبعد

مع أن احتمال دخول المعاملات فى الحديث كأحد الاحتمالات مستبعد أصالة وابتداء ؛ لأن المعاملات كما يفهم من معناها علاقة الأفراد والجماعات بعضهم ببعض فيما يتعلق بمعاشهم ، وهذه العلاقة تحكمها دائما قواعد وأصول وضوابط ؛ لئلا يحيف بعض الأطراف على بعض ، والأمم غير الإسلامية وضعت لذلك قوانين ، والإسلام وضع لها أرقى أنواع التشريع .

وليس من المعقول أن الله الذي أنزل أطول آياته في القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ ... ﴾[1] .

وحدد فيها : كتابة الدين ، ومواصفات الكاتب وواجباته ، وحق المدين فى الإملاء ، وإملاء وليه فى حالة عدم صلاحيته ، وصفات الشهود ، وشروطهم ، وواجباتهم ، وقال : ﴿ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ ليس من المعقول أن الله الذي أهتم بالدَّيْن هذا الاهتمام يترك البيع والشراء وتفصيل الربا والرهن والشركة وغيرها من المعاملات دون تشريع .

هل يعقل أن الله يترك البشرية تنظم أمورها ومعاملاتها على حسب أهوائها حتى يضع قويهم القيود لضعيفهم باسم القوانين ؟ وهو الحكم العدل العليم الخبير الذي راقب حركة عين محمد ﷺ في نظرتها لابن أم مكتوم فوضع لها قانونا يتلى فى القرآن : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة – الآية ٢٨٢ .

(٢) سورة عبس – الآيتان ١ ، ٢ .

هل يعقل أن يترك البشرية هملا يأكل بعضهم مـال بعـض ظلمـا وعدوانا تحت عنوان « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ؟ هل يعقـل مسـلم أن يترك الله تعالى هذه القوانين لمحمد ﷺ دون رقابة أو تصحيح ؟ فيخطـئ ، فتعمل الأمة مجتمعة بالخطأ أربعة عشر قرن حتى يبعث الله لها من يرعى مصالحها ويخالف حكم محمد ﷺ ؟ أظن أن العقل المسلم يستبعد ذلك كـل الاستبعاد .

ولزيادة الإيضاح ، وحتى تنقطع كل شبهة لمشـتبه ، ولتقطـع كـل المعاذير نذكر خمس مسلمات لا يعارض فيها أى مسلم :

الأولى : أن السامعين للخطاب « أنتم » يدخلون في الحكم دخـولا أوليا .

الثانية : أن الرسول ﷺ يدخل فى المفضل عليه « أعلـم » دخـولا أوليا ، أى أنتم أعلم منى .

الثالثة : أن غير الأعلم لا يصدر أوامره ونواهيه إلى الأعلم فيما هو فيه أعلم ، فلو أن المخاطبين والأمة الإسلامية أعلم منه صـلى الله عليـه وسلم بأحكام البيع والشراء والربا والهبة والشركة واللقطة والكفالة والوكالة والشفعة والاستقراض والنكاح ما أصدر أوامره ونواهيه إليهم فـى هـذه المعاملات " أما وأنه أصدر فهو أعلم فيما أصدر ، وليس هذا مما هم فيـه أعلم .

الرابعة : أن الإيمان يفرض علينا أن نعتقد أن الرسول ﷺ حكـيم ، يضع الأمور في نصابها ، ولا يتدخل فيما لا يخصه ، ولا يحشر نفسه فيما لا يعنيه ، لقد ظن حين تدخل في تأبير النخل أنه بذلك يغرس فـيهم أن الله هو الفاعل لكل شيء ، وأن المواجب عدم الاعتماد على الأسباب ونسـيان الله ، ظن أنه بذلك يوجههم إلى الله ، وكان من الممكن أن تحمـل الـريح

دقيق الذكورة إلى الأنوثة ، كما هو الشأن في تلقيح بعض الثمار ، ولم لا ؟ والقدرة الإلهية جعلت مريم تحمل من غير ذكر أصلا ، لكن المشيئة العليا قضت ذلك لحكمة ، كأنها تقول له : دع مثل هذه الأمور ، فليست من مهمتك ، ودع الناس يتنافسون فى صنائعهم ، ويجتهدون فى الترقي بشئون معاشهم ، معتمدين على الأسباب ، فالله خالق السبب والمسبب جميعًا .

ومنذ هذا أمسك ﷺ عن هذا النوع ، فلم يتدخل في شئون الزراعة ، فلم يسألهم ثانية : لم تحرثون ؟ ولا : لم تسمدون ؟ ولا : لم تختارون وقت كذا لزراعة كذا ؟ ولا شيئًا من ذلك ، لأنه قال لهم عنه : « أنتم أعلم بشئون دنياكم » .

فهل لو قصد دخول المعاملات في هذا أكان يتدخل فيها ؟ ويأمر وينهى ؟

لقد تدخل فى المعاملات صغيرها وكبيرها ، ورسم لهم صحيحها من باطلها، وحلالها من حرامها ، كان يذهب إلى السوق بنفسه يرى ويسمع ويوجه :

« البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

« لا تبيعوا لذهب بالذهب إلا سواء بسواء » .

« من أسلف فى شيء ففى كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم » .

« مطل الغنى ظلم ، ومن أتبع على ملء فليتبع » .

« ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

« لا يمنع جار جاره أن يغرس خشبة في جداره » . وهكذا عشرات

الأحاديث فى كل معاملة ، مما لا يدع مجالا للشك فى إن المعاملات مما تعنيه هو فى رسالته ﷺ ، وليست مما قال فيها «أنتم أعلم بشئون دنياكم».

الخامسة : أن الأعلم لا يستجيب عادة ولا يخضع ولا ينفذ كل متطلبات غير الأعلم ، فلو كانوا أعلم بشئون المعاملات منه صلى الله عليه وسلم لتوقفوا ولو مرة ، وقالوا : نحن أعلم بشئون دنيانا.

هذا . وفَهْم المخاطبين من الحديث أساس فى تحديد المراد منه .

فماذا فهم الصحابة من حديث « أنتم أعلم بشئون دنياكم » ؟

الزواج من شئون دنياهم :

هل اتبعوا ما يعلمون أو ما يظنون أنه فى صالحهم دون الرجوع إلى حكم الرسول ﷺ ؟

هل خطب الخاطب على خطبة أخيه وهو يعتقد أن ذلك فى مصلحته وفى مصلحة الزوجة والأسرتين ؟ أم نفذ حكم الرسول ﷺ وإن اعتقد أن صالح نفسه خلافه ؟

البيع والشراء من أمور دنياهم .

هل اتبعوا ما يعتقدون أنه فى صالح البائع فباعوا المصراة ؟ أو نفذوا حكم محمد ﷺ ونهيه عن بيع المصراة ؟ هل اتبع المشترون ما يعتقدون أنه فى صالحهم فتلقوا الركبان قبل وصولهم الأسواق ، وقبل معرفتهم الأسعار ؟ أو نفذوا حكم محمد ﷺ ونهيه عن تلقى الركبان ؟

هل اتبعوا ما يعتقدون أنه فى صالح البائع والمشترى معًا فباعوا التمر الرديء بالتمر الجيد مع اختلاف الوزن ؟ أو نفذوا حكم محمد ﷺ فانتهوا عنه ؛ لأن ذلك ربا .

الثابت الذى لا شك فيه إنهم كانوا يتبعون أوامره فى المعاملات

وينفذونها بدقة ، مما يؤكد بداهة أنهم لم يجعلوها داخلة تحت حديث « أنتم أعلم بشئون دنياكم » .

وإذا ثبت ووضح لنا مراد المتكلم ﷺ وأنه لم يُدخل المعاملات ضمن هذا الحديث .

وإذا ثبت فهم المخاطبين واستجاباتهم وأنهم لم يخطر ببالهم دخـــول المعاملات تحت هذا الحديث .

وإذا أجمعت الأمة فى عصورها المختلفة أربعة عشر قرنا علـــى أن المعاملات لا تدخل فى هذا الحديث .

وإذا كان الفهم الصحيح للحديث يحدد المراد منه ويمنع من دخـــول المعاملات فيه .

فهل يبقى خيط عنكبوت يتعلق به الباحث ليدخل المعاملات فى هـــذا الحديث ؟

اللهم . لا .

إن الشريعة الإسلامية رسمت أسلوب تعامل الإنسان علـــى الأرض مع كل ما يحيط ويتصل به ، ذلل الله لبنى آدم كثيرا من مخلوقاته ، وزوده بعقل ليستفيد من هذه النعم، فهو فى ميدان استخدام العلم والطبيعة حـــر ، وفى ميدان الاستفادة والترقى لا حجر عليه .

شرط واحد أساسى : ألا يتعلق بمهاراته ونشاطه حقوق للغير ، وهذا هو الحد الفاصل بين ما هو من شئون الدنيا المرادة من الحديث وبين مـــا هو من اختصاص الشريعة الواردة على لسان محمد ﷺ .

اصنع أسلحة تحمى بها نفسك ، وتحمى بها الناس من الناس ؟ نعم ، لكن تصنع سكينا ليقتل به الظالم بريئا ؟ لا ، لأنك بذلك تساعد على الظلم.

تعلم " التكنولوجيا " وتعلم الذرة ، لكن حين تستخدمها لقتل البرءاء ؟

لا .

بع ما شئت واشتر ما شئت لكن لا على حساب أحد من الناس ، حتى لو كان صاحب الحق طيرا أو حيوانا .

اذبح ما أحل الله لك ذبحه ، لكن أن تعذب المذبوح ؟ لا .

« إذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » .

تعلم الرماية ما شئت ؟ نعم ، لكن أن تنصب دجاجة حية هدفا ترميها بالنبل تتعلم عليها إصابة الهدف ؟ لا . إن النبى ﷺ لعن من فعل هذا.

أطعم الهرة أو لا تطعمها ، لكن أن تحبسها ، فلا أنت تطعمها ولا أنت تتركها تأكل من خشاش الأرض ؟ لا . فقد دخلت امرأة النار فى هرة حبستها حتى ماتت .

تسقى الكلب أو لا تسقى . لكن رجلا سقى كلبا يلهث فغفر الله له .

فأنتم أعلم بشئون دنياكم فافعلوا ما تختارون حيث لا يتعلق بهذه الشئون حقوق للآخرين ، فإن تعلقت بها حقوق الآخرين ولو كان طيرًا أو حيوانا فالأعلم بها الله ورسوله ، ولشرعه فى ذلك هو الميزان . ما أمر به هو المصلحة ، وما نهى عنه هو ضد المصلحة .

علمنا الحكمة أم لم نعلمها .

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (١).

---

(١) سورة الأحزاب – الآية ٣٦ .

وما ينبغى لمسلم يبلغه حديث رسول الله ﷺ فيرده زاعمًا أن المصلحة فى خلافه : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (١).

وما كان لمسلم يبلغه حديث رسول الله ﷺ فيضيق به ولا يسلم به : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ (٢).

بقى فى نفسى تساؤل بخصوص حديث تأبير النخل ، ربما يثور فى نفوس البعض ، هو :

لماذا ألهم الله رسوله ﷺ أن يشير عليهم بهذه الإشارة ، مع أنها لم تكن فى مصلحتهم ؟

ولماذا جعلهم الله يستسلمون لمجرد الإشارة ، وهم المعروفون بالمراجعة والنقاش وكثرة السؤال ؟

ولماذا لم يتدارك الله هذه المشورة بالتصحيح قبل أن تنتج شيصا للمسلمين يسخر منه اليهود وأعداء الإسلام حين يصح نخلهم ويسوء نخل المسلمين بسبب مشورة نبيهم ﷺ ؟

وسنحاول تلمس حكمة لهذه المحادثة ، فإن حصلت بها قناعة واطمئنان فالحمد لله ، وإلا فنحن مؤمنون أرسخ الإيمان بأن الله فى ذلك حكمة ، وهو الحكيم الخبير .

أولا : هناك من الأمور ما نحسبه شر لنا وهو فى الحقيقة خير لنا ،

---

(١) سورة النور – الآية ٦٣ .

(٢) سورة النساء – الآية ٦٥ .

كخرق السفينة ، يحسب لأول وهلة إنه شر لأصحابها ، فلما وضحت الحقيقة كان خير ، وبالقياس على هذا :

ألم يكن من الجائز أن يطمع الكافرون فى المدينة وتمرها، فيهاجموها من أجل نزول محمد ﷺ فيها ؟ فخروج التمر شيصًا جعلها غير مطمع ، وصرف الله بذلك هجوم الكافرين حتى يستعد المؤمنون ؟

احتمال .

ثانيا : من المعروف أن الدرس العملى يكون أشد أثرًا من غيره ، ولا شك أن هذا الدرس كان قاسيا عليهم فتنافسوا بعده فى أسباب الحياة .

ثالثا : اذكر قصة الصيادين ، الصياد المسلم الذى أخذ يدعو الصياد المشرك للإيمان ، وأخذ كل منهما يلقى شباكه فى البحر ، يقول المسلم : بسم الله ، فتخرج شباكه فارغة ، ويقول المشرك : باسم العزى ، فتخرج شباكه مليئة ، فلو كان المسلم قوى الإيمان ظل متمسكًا بإيمانه مهما أصابه، وإن كان ضعيف الإيمان ظهر ضعفه فلا ينخدع الناس به . وفى مثل هذا يقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾[1].

ويقول : ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[2].

فكانت هذه الحادثة ابتلاء واختبارًا ، وحتى اليوم هي فى هذا البحث

---

(١) سورة الحج – الآية ١١ .

(٢) سورة البقرة – الآية ١٥٥ .

ابتلاء واختبار ، وقد نجح الصحابة – رضوان الله علـيهم – فـى هـذا الاختبار القاسى – وهم فى أول الإيمان – نجاحًا باهرًا ، فقد استمروا فـى طاعة أوامره ﷺ والبعد عن كل ما نمى عنه بالدرجة نفسها التى كانت قبل مشورته ﷺ ولم يرد إلينا ردة أحد بسببها ، بل لم يرد عتاب أحـد مـنهم لرسول الله ﷺ عليها رغم خسارتها ، مما يشهد لهم بالإيمان الصادق المتين والله أعلم بحكمته .

غزوة بنى النضير

بنو النضير إحدى فرق أربع من اليهود الذين كانوا يسكنون فى قرى فى أطراف المدينة وضواحيها ، وكان النبى ﷺ قد صالحهم ، وعقد بينه وبينهم عهدًا على أن لا يكونوا عليه ولا له ، فلما ظهر يوم بدر قالوا : هو النبى الذى وصف فى التوراة ، فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا عهدهم وطعنوا فى الإسلام وخرج منهم كعب بن الأشرف فى أربعين راكبًا إلى مكة ، فحالفوا قريشًا عند الكعبة ، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ ، وحضوهم على قتال رسول الله ﷺ ، ودلوهم على عوراته ، وأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ بذلك .

وذهب رسول الله ﷺ ومعه ثلاثة من أصحابه إلى معه : أبو بكر ، وعمر ، وعلى – رضى الله عنهم – بنى النضير ، يستعينهم فى دية قتيلين مسلمين ، فتظاهروا بالإجابة ، وقالوا : نعم يا أبا القاسم . نعينك على ما أحببت . ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا : إنكم لن تجدوا الرجل على مثل هذه الحال أبدًا – وكان رسول الله ﷺ قد جلس ليلا بجوار جدار من بيوتهم فانتدبوا رجلا قويًا منهم ، يأخذ حجرًا كبيرًا ، ويصعد على البيت ، فيصوب عليه الصخرة ويلقيها ، فيريحنا منه . وصعد الرجل بالصخرة ، وأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ ، فقام من مجلسه ؛ كأنه يقضى حاجة ، ورجع إلى المدينة . ثم لحق به أصحابه ، فأرسلوا إليه : اخرج إلينا فى ثلاثة نفر من أصحابك ، ويلقاك ثلاثة من علمائنا ، فإن آمنوا بك اتبعناك ، ففعل فاشتمل اليهود الثلاثة على خناجر ، فأرسلت امرأة من بنى النضير إلى أخ لها من الأنصار مسلم ، تخبره بأمر بنى النضير ، فأخبر أخوها النبى ﷺ ، فرجع وصبحهم بالكتائب .

وكان ذلك فى ربيع الأول سنة أربع من الهجرة ، فخرج على حمار

مخطوم بحبل من ليف ، ومعه أصحابه ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فطلب منهم أن يخرجوا من المدينة ؛ لأن وجودهم خلف ظهر وحوله كمسمار يؤذيه ويقض مضاجعه ، ويعكر أمنه ، فقالوا : الموت أقرب لنا من ذلك ، لن نخرج ، افعل ما بدا لك ، وتنادوا بالحرب ، ودخلوا الحصون وأغلقوها ، وأرسلوا إلى أبى سفيان بمكة يطلبون منه النجدة والدفاع عملا بالعهود والمواثيق المبرمة بينهم ، كما أرسلوا إلى ابن أبى وبنى قريظة ، يحكى هذه الصورة القرآن الكريم حين يقول : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا ﴾ المراد بالنفاق هنا النفاق اللغوى أى إظهار غير الباطن ، والمراد بهم كفار قريش وابن أبى وأصحابه وبنو قريظة ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝١٣ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ۝١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ﴾ أهل بـدر وبنى قينقاع ﴿ ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٦ ﴾ (١) .

---

(١) سورة الحشر – الآيات : ١١– ١٦ .

حاصرهم رسول الله ﷺ فى حصونهم ستة أيام ، وقيل : خمسة عشر يومًا ، ثم أمر بقطع نخيلهم وتحريقها تيئيسًا لهم ، فقذف الله فى قلوبهم الرعب ، وخذلهم ابن أبى ، ولم تنفعهم بنو قريظة ، فطلبوا الصلح على أن يجلوا عن المدينة على أن يحملوا معهم ما حملت الإبل من أموال غير السلاح ، فكانوا يخربون بيوتهم من الداخل ، ومن الخارج بأيدى المؤمنين، فخرجوا بنسائهم وأطفالهم ، وحملوا حتى أبواب بيوتهم ، خرجوا إلى أذرعات بالشام ، وخرج ثلاثة من كبرائهم إلى خيبر - حيى بن أخطب ، وسلام بن أبى الحقيق ، وكنانة ، وأسلم اثنان من بنى النضير ، فأحرزا أموالهما ، وجعل الله أموال بنى النضير بعد ذلك فيئًا لرسول الله ﷺ ، فما استعمل المسلمون فى حربهم سلاحًا . قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾ (١) فكان صلى الله عليه وسلم ينفق على أهله من أموالهم نفقة سنة ، ثم يجعل ما بقى فى مصالح المسلمين ، ثم عمل فيه أبو بكر كما كان يعمل رسول الله ﷺ ، ثم عمل فيها عمر كذلك سنتين من ولايته ، ثم أعطاها للعباس وعلى يديرانها، على أن يعملوا فيها ما عمل فيها رسول الله ﷺ ، فاختلفا وتحاكما عند عمر. وكانت هذه القصة فى حديث طويل برقم :

٤٠٣٣ - عن مَالِكِ بْنِ أَوْسِ بْنِ الْحَدَثَانِ النَّصْرِىِّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ دعاهُ إذْ جاءَهُ حَاجِبُهُ يرْفَا فقال : هلْ لك فِى عُثْمان ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَالزُّبَيْرِ وَسَعْدٍ يَسْتَأْذِنُونَ ؟ فَقَالَ : نعمْ ، فَأَدْخِلْهُمْ . فَلَبِثَ قَلِيلاً ، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ : هلْ لَكَ فِى عَبَّاسٍ وَعلىٍّ يستأذنان ؟ قَالَ : نعمْ . فلَمَّا دَخلاَ قَالَ عَبَّاسٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اقْضِ بيْنِى وَبيْنَ هذا ، وهُما

---

(١) سورة الحشر - الآية : ٦ .

يَخْتَصِمَانِ فِى الَّذِى أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ بَنِى النَّضِيرِ ، فَاسْتَبَّ عَلِىٌّ وَعَبَّاسٌ ، فَقَالَ الرَّهْطُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، اقْضِ بَيْنَهُمَا وَأَرِحْ أَحَدَهُمَا مِنَ الآخَرِ . فَقَالَ عُمَرُ : اتَّئِدُوا ، أَنْشُدُكُمْ بِاللَّهِ الَّذِى بِإِذْنِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ ، هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لاَ نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ » . يُرِيدُ بِذَلِكَ نَفْسَهُ ؟ قَالُوا : قَدْ قَالَ ذَلِكَ . فَأَقْبَلَ عُمَرُ عَلَى عَبَّاسٍ وَعَلِىٍّ فَقَالَ : أَنْشُدُكُمَا بِاللَّهِ هَلْ تَعْلَمَانِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ قَالَ ذَلِكَ ؟ قَالاَ : نَعَمْ . قَالَ : فَإِنِّى أُحَدِّثُكُمْ عَنْ هَذَا الأَمْرِ ، إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ كَانَ خَصَّ رَسُولَهُ ﷺ فِى هَذَا الْفَىْءِ بِشَىْءٍ لَمْ يُعْطِهِ أَحَداً غَيْرَهُ فَقَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ :

﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ ﴾

إِلَى قَوْلِهِ ﴿ قَدِيرٌ ﴾ فَكَانَتْ هَذِهِ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، ثُمَّ وَاللَّهِ مَا احْتَازَهَا دُونَكُمْ ، وَلاَ اسْتَأْثَرَهَا عَلَيْكُمْ ، لَقَدْ أَعْطَاكُمُوهَا وَقَسَمَهَا فِيكُمْ ، حَتَّى بَقِىَ هَذَا الْمَالُ مِنْهَا ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ نَفَقَةَ سَنَتِهِمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ ، ثُمَّ يَأْخُذُ مَا بَقِىَ فَيَجْعَلُهُ مَجْعَلَ مَالِ اللَّهِ ، فَعَمِلَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيَاتَــهُ ، ثُمَّ تُوُفِّىَ النَّبِىُّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَأَنَا وَلِىُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقَبَضَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَعَمِلَ فِيهِ بِمَا عَمِلَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ . فَأَقْبَلَ عَلَى عَلِىٍّ وَعَبَّاسٍ وَقَالَ : تَذْكُرَانِ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ عَمِلَ فِيهِ كَمَا تَقُولاَنِ ؟ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُ فِيهِ لَصَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ ثُمَّ تَوَفَّى اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ : أَنَا وَلِىُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِى بَكْرٍ . فَقَبَضْتُهُ سَنَتَيْنِ مِنْ إِمَارَتِى أَعْمَلُ فِيهِ بِمَا عَمِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّى فِيهِ صَادِقٌ بَارٌّ رَاشِدٌ تَابِعٌ لِلْحَقِّ ، ثُمَّ جِئْتُمَانِى كِلاَكُمَا وَكَلِمَتُكُمَا وَاحِدَةٌ وَأَمْرُكُمَا جَمِيعٌ ، فَجِئْتَنِى - يَعْنِى عَبَّاساً - فَقُلْتُ لَكُمَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « لاَ نُورَثُ ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَةٌ » . فَلَمَّا بَدَا لِى أَنْ أَدْفَعَهُ إِلَيْكُمَا قُلْتُ : إِنْ شِئْتُمَا دَفَعْتُهُ إِلَيْكُمَا عَلَى أَنَّ عَلَيْكُمَا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَتَعْمَلاَنِ فِيهِ بِمَا

عملَ فيه رَسُولُ اللَّه ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ ، وَمَا عَمِلْتُ فيه مُذْ وَلِيتُ ، وَإِلاَّ فَلاَ تُكَلِّمَانِى ، فَقُلْتُمَا ادْفَعْهُ إِلَيْنَا بِذَلِكَ . فَدَفَعْتُهُ إِلَيْكُمَا ، أَفَتَلْتَمِسَانِ مِنِّى قَضَاءً غَيْرَ ذَلِكَ فَوَاللَّه الَّذِى بِإِذْنِه تَقُومُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ أَقْضِى فِيه بِقَضَاءٍ غَيْرِ ذَلِكَ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ، فَإِنْ عَجَزْتُمَا عَنْهُ ، فَادْفَعَا إِلَىَّ فَأَنَا أَكْفِيكُمَاهُ.

نزلت سورة الحشر فى يهود بنى النضير ، وفيها يقول الله سبحانه تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ ﴾ ليحملوا معهم منها ما يمكنهم حملهم ﴿ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ۝٢ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ۝٣ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ ﴾ نخلة ﴿ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ (١) .

(١) سورة الحشر – الآيات : ١– ٥ .

غزوة ذات الرقاع

ثم أقام صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهرًا بعد غزوة بنى النضير ، وفى شهر جمادى الأولى غزا صلى الله عليه وسلم نجدًا ، وقد بلغه أن بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان قد جمعوا جموعهم واستعدوا لحربه ، فبادر بمهاجمتهم قبل أن يهاجموه ، واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ، وسميت هذه الغزوة بذات الرقاع .

٤١٢٨- عَنْ أَبِى مُوسَى ﷺ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِىِّ ﷺ فِى غَزَاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ ، فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا وَنَقِبَتْ قَدَمَاىَ وَسَقَطَتْ أَظْفَارِى ، وَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ ، لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ مِنَ الْخِرَقِ عَلَى أَرْجُلِنَا .

وقيل : سميت بذلك لترقيعهم راياتهم ، وقيل : لشجرة كانت فى ذلك الموضع ، يقال لها ذات الرقاع ، وكانت العرب تعبدها ، وكل من له حاجة زارها فربط فيها خرقة ورقعة ، وقيل : سميت بجبل هناك فيه بقع .

سار رسول الله ﷺ بجيشه ليلتين نزل بعدهما واديًا به مكان يسمى نخلا ، فلقى جمعًا من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، لكن أخاف بعضهم بعضًا ، حتى صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف الموصوفة فى الحديثين :

٤١٢٩ - عَنْ صَالِحِ بْنِ خَوَّاتٍ عَمَّنْ شَهِدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلَّى صَلاَةَ الْخَوْفِ أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ ، وَطَائِفَةٌ وُجَاهَ الْعَدُوِّ ، فَصَلَّى بِالَّتِى مَعَهُ رَكْعَةً ، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِماً ، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ ثُمَّ انْصَرَفُوا ، فَصَفُّوا وُجَاهَ الْعَدُوِّ ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمِ الرَّكْعَةَ الَّتِى بَقِيَتْ مِنْ صَلاَتِهِ ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِساً ، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ .

٤١٣٣ - عَنْ عَبْدِ اللَّـهِ بْـنِ عُمَـرَ - رضـى الله عنهمـا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى بِإِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ ، وَالطَّائِفَةُ الأُخْرَى مُوَاجِهَةَ الْعَدُوِّ ، ثُمَّ انْصَرَفُوا ، فَقَامُوا فِي مَقَامِ أَصْحَابِهِمْ ، فَجَاءَ أُولَئِكَ فَصَلَّى بِهِمْ رَكْعَةً ، ثُمَّ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَامَ هَؤُلاَءِ فَقَضَوْا رَكْعَتَهُمْ ، وَقَـامَ هَـؤُلاَءِ فَقَضَـوْا رَكْعَتَهُمْ . ثم انصرف الناس .

فهرس الجزء التاسع